مدينة تِنِّيس
فى
التاريخ الأسلامى

دكتور جابر سلامه المصرى
أستاذ مساعد التاريخ الأسلامى
كلية التربية

مدينة تِنِّيس
فى
التاريخ الأسلامى

دكتور جابر سلامه المصرى
أستاذ مساعد التاريخ الأسلامى
كلية التربية

مقدمـــة

تتباين المدن من حيث ظهورها ومولدها ، فمنها ما تم تأسيسه فى تاريخ محدد وعلى أيدى أناس معروفين - حكاما كانوا أو قادة أو ساسة - مثل الأسكندرية والقسطنطينية وبغداد والقاهرة ... ومنها ما نشأ نتيجة لتجمعات بشريه هاجرت من مواطنها تحت ظروف وضغوط معينة ، مثل البندقية ، ومنها ما جاءت نشأته تلقائيه نتيجة لعوامل إقتصادية أو دينيه ، أو غير هذا وذاك من الأسباب .

غير أن هناك بعض المدن القديمة لا يعرف تاريخ محدد لقيامه ، وتخضع نشأتها للحدس والتخمين ، وتحيط بتلك النشأة الأساطير والخ هى مزيج من الحقيقة والخيال . والغالب أن بقاء ها واستمراريتها قرونا طويلة ، إنما يكون لعوامل توافرت لها .

ومن هذا النوع الأخير
إذ أحاطت بنشأتها الأساطير ، ر
من العصور القديمة والوسطى ،
والتجارة ... وجاء كل ذلك على الر
جزيرة صغيرة وسط بحيرة واسعة يغلب

ومع ما أحرزته هذه الجزيرة من شهرة ، فإنها انمحت من صفحه التاريخ فى عصر الحروب الصليبية ، فى أواخر القرن السادس الهجرى - الثانى عشر للميلاد - عندما أمر الكامل محمد بن العادل أبى بكر الأيوبى بهدمها . وهكذا إذا كان التاريخ لا يؤكد أن تنيس تم تأسيسها بيد حاكم ، فإنه يؤكد أن نهايتها جاءت نتيجة لقرار أصدره حاكم .

والواقع إن عصر الحروب الصليبية شهد قيام المسلمين بهدم بعض المدن الاسلامية بمصر والشام ، تخوفا من أن يعود الصليبيون إلى إحتلالها والمخاذها قواعد ينطلقون منها إلى داخلية البلاد . ومن هذه المدن نذكر - على سبيل المثال لا الحصر - دمياط وطرابلس وتنيس . ولكن المسلمين عندما هدموا دمياط وطرابلس ، شرعوا فى بناء مدينتين جديدتين بدلاً منهما فى الداخل - بعيداً إلى حد ما عن ساحل البحر - حتى تكونا فى مأمن من أى هجوم بحرى صليبى . وهكذا هدمت دمياط القديمة عقب حملة لويس التاسع فى منتصف القرن الثالث عشر للميلاد لتشيد بدلها دمياط جديدة فى الداخل ، وهدمت طرابلس القديمة عقب إستيلاء السلطان المنصور قلاون عليها فى أواخر نفس القرن ، لتحل محلها طرابلس جديدة أقامها المسلمون بعيداً عن ساحل البحر .

أما تنيس فقد هدمت ليخبو نورها إلى الأبد ، لأن موقعها وظروفها الطبيعية كانت لا تسمح ببناء تنيس جديدة فى الداخل مثلما هو الحال مع دمياط وطرابلس الشام . وبذلك أنتهى دور تنيس فى التاريخ فى نهاية القرن السادس الهجرى - الثانى عشر للميلاد - وبقى إسمها فى كتب التاريخ يحمل ذكريات مدينة كبيرة ، نهضت بدور بارز طوال قرون طويلة ، وسجلت نشاطا حضاريا يفوق حجمها فى مختلف الميادين الأقتصادية والأجتماعية والفكرية وغيرها .

وفى هذه الدراسة حاولت أن ألقى أضواء على مدينة تنيس من واقع ما تبعه من إشارات قليلة متناثرة فى بطون المصادر ، والله ولى التوفيق .

تنِّيس مدينة قديمة بديار مصر بالقرب من دمياط على بعد تسعة كيلو مترات من الجنوب الغربى لمدينة بور سعيد الحالية ، كانت تنيس هذه قائمة فى العصور الوسطى فى الجهة الشمالية الشرقية من بحيرة المنزلة التى عرفت باسم بحيرة تنيس نسبة إلى بلدة تنِّيس الواقعة بها . وبعد أن أندثرت تنيس عرفت البحيرة باسم بحيرة المنزلة نسبة إلى بلدة المنزلة الغربية منها والتى هى اليوم قاعدة مركز المنزلة بمحافظة الدقهلية[1] .

ويلاحظ التمييز بين تنِّيس هذه التى بكسر التاء وتشديد النون ، وبين تانيس التى هى صان الحجر بمركز فاقوس ، وكذلك التفرقة بين تنِّيس الأولى وبين تنيس بغير تشديد . ويقال لها التينه وهى التى تعرف اليوم باسم البرلا بمركز جرجا مسقط رأس الملك مينا أول ملوك الفراعنة[2] .

وللأهمية التاريخية لمدينة تنيس موضوع بحثنا تكلم كثير من المؤرخين عن موقعها وتناولوا ذلك من زوايا عديدة وأتفقوا فى النهاية على مأثر تلك المدينة بعد التعريف بها .

من ذلك ما يذكره ياقوت الحموى فى معجم البلدان من أن تنيس بكسرتين وتشديد النون وياء ساكنة والسين مهمله ، جزيرة فى بحر مصر قريبة من البر ما بين الفرما[3] ودمياط ، والفرما فى شرقيها . وقد ربط ياقوت نشأة تنيس ببعض الأساطير ، فقال أنها سميت باسم تنيس بنت دلوكه الملكة وهى العجوز صاحبة حائط العجوز بمصر . كذلك قال إن النيل كان يجرى إليها وأنها كانت ذات حدائق وبساتين . أما عن وصفها[4] فقد ذكر ياقوت أنها كانت

---

(١) أنظر الخريطة بالملاحق .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٠٧

ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٣١٢ هامش ٢ ، جـ ٨ ص ٢١٨ هامش ٢

د/ حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام جـ ٤ ص ٣٧٣ هامش ١ .

(٣) الفرما : مدينة على شاطىء بحيرة تنيس بها قبر حنظلة اليوماق ومن الفرما إلى تنيس فى البحيرة دون الثلاثة فراسخ . وهى مدينة خصبة كثيرة الرطب صالحة للفاكهة ابن حوقل . صورة الأرض ج ١ ص ١٦٠ .

(٤) أنظر الخريطة بالملاحق .

جزيرة فى وسط بحيرة مفرده عن البحر الأعظم - أى البحر المتوسط أو بحر الروم - يحيط بهذه البحيرة البحر من كل جهة وبينها وبين البحر الأعظم بر آخر مستطيل وهى جزيرة بين البحرين ، وأول هذا البر قرب الفرما ، وهناك فوهه يدخل منها ماء البحر الأعظم إلى بحيرة تنيس فى موضع يقال له القرباج فيه مراكب تعبر من بر الفرما إلى البر المستطيل الذى يحول بين البحر الأعظم وبحيرة تنيس ، يسار فى ذلك البر نحو ثلاثة أيام إلى قرب دمياط . وهناك أيضا فوهه أخرى تأخذ من البحر الأعظم إلى بحيرة تنيس ، وبالقرب من ذلك فوهة النيل الذى يلقى إلى بحيرة تنيس[1] .

وهذه البحيرة طولها مقدار إقلاع يوم واحد فى عرض نصف يوم ، ويكون ماؤها أكثر السنة ملحا لدخول ماء بحر الروم إليه عند هبوب ريح الشمال ، فإذا تكاملت زيادة النيل يُعد الماء الملح وتغلب حلاوة ماء النيل على ماء البحر فيصير ماء البحيرة عذبا حتى عشرة فراسخ حول تنيس ، وعندئذ يدخر أهلها المياه فى جباب وصهاريج عظيمه بنوها تحت الأرض وهى قوية البنيان وتسمى المصانع . وتصبح هذه الصهاريج هى المصدر الرئيسى للمياه التى يستعملها أهالى تنيس وسكانها حتى السنة التالية عندما يفيض النيل ، وكل من لديه ماء فوق حاجته يبيع الفائض لغيره ، وبالمدينة مصانع كثيرة موقوفه يعطى ماؤها للغرباء[2] .

والبحيرة قليلة العمق يُسار فى أكثرها بالمدارى[3] ، ومن حذق نوائى[4]

---

(١) ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٢ ص ٥٢ .

(٢) الكرخى: المسالك والممالك ص ٥٢ .
ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٢ ص ٥١
المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٧٧
ناصر خسرو : سفر نامه ص ٣٩
آدم ميتز : الحضارة الاسلامية جـ ٢ ص ٤٣٠
على مبارك : الخطط التوفيقيه جـ ١٠ ص ٤٥ .

(٣) المدارى : جمع مدراه وهى قواع طويل من الخشب يشبتها الملاح فى قاع الماء ليدفع بها المركب .

(٤) نوائى : جمع نوتى وهو الملاح .

البحر أنهم يقلعون بريح واحدة يديرون القلاع بها حتى يذهبوا فى جهتين مختلفتين متساوية فى سرعة السير فيلقى المركب المركب فى مثل لحظ الطرف بريح واحدة[1] . وبهذه البحيرة سمكه تسمى الدلفين[2] فى خلقة الزق الكبير[3] وتكثر فى مياه بحر الروم ، ولها خاصية مشهورة وذلك أنها لا تزال تدفع الغريق عند غرقه وهو يجود بأنفاسه ودفعه مرة ورفعه تارة أخرى إلى أن تخرجه إلى الساحل أو الماء الرقيق ، كما أنه إذا أكلها الانسان رأى منامات هائلة[4] ، أى مزعجه .

ويذكر المسعودى أن « بحيرة تنيس ودمياط كانت أرضا لم يكن بمصر مثلها إستواء وطيب تربه ، وكانت جنانا ونخلاً وشجراً ومزارع . ولم ير الناس إلى ما قبل الفتح العربى بمائة عام أرضا أحسن من هذه الأرض ولا أحسن إتصالاً من جنانها وكرومها إلا بلاد الفيوم ، وكانت أرضها ترويها ترع لا تنضب مياهها تأتى من النيل صيفا وشتاء فكانت تنبت لباتاً يانعاً من القمح والنخيل والأعناب وسائر الشجر من فاكهة ورياحين ، وكان بين البحر وبين هذه الأرض نحو مسيرة يوم واحد . غير أن البحر ما لبث أن طغى عليها فاقتحم ما كان يحجزه من كثبان الرمل ، وكانت المياه تزيد طغيانا عاما بعد عام حتى عمت السهل المنخفض فغرقت معظم القرى ، وأما التى كانت على إرتفاع من الأرض فلم تناله المياه وأعظم ما نحا من تلك الأراضى مدينة تنيس الشهيرة بما لها من الأتساع والكبر ، بعد أن عصفت بغيرها الطبيعه وكتب عليها الغرق واختفت جناتها وآثارها وتكونت على أرضها بحيرة مترامية الأطراف تطوى فى أعماقها مدائن الحدائق ، هذه هى بحيرة تنيس التى عرفت

---

(١) ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٢ ص ٥١ .
آدم متز : الحضارة الاسلامية جـ ٢ ص ٤٣٠ .

(٢) هذا الاسم باللغات الأوربية Dolphin

(٣) الزق الكبير : الزجاجة الكبيرة المبسمه التى يحتق بها الخمر .

(٤) ابن حوقل : المسالك والممالك ص ١٠٣
صورة الأرض ق ١ ص ١٥٦
الكرخى : المسالك والممالك ص ٥٢
المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٨١

فيما بعد باسم بحيرة المنزلة »[1] .

أما المقريزى فيذكر أن « تنّيس بكسر التاء المنقوطه باثنتين من فوقها وكسر النون المشددة وياء وسين مهملة بلده من بلاد مصر فى وسط الماء ، وهى من كورة الخليج سميت بتنيس بن حام بن نوح عليه السلام . ويقال بناها قليمون من ولد أنريب بن قبطيم أحد ملوك القبط فى القدم »[2] . وكان للملك بها أمناء يقسمون المياه ويعطون كل قرية قسطها وكان على تلك القرى حصن يدور بقناطر ، وكان كل ملك يأتى يأمر بعمارتها والزيادة فيها ويجعلها له متنزها . ويقال أن الجنتين اللتين ذكرهما الله تعالى فى كتابه العزيز « واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل ... » كانتا لأخوين من بيت الملك أقطعهما ذلك الموضع فاحسنا عمارته وهندسته وبنيانه ، وكان الملك يتنزه فيهما ويؤتى منهما بغرائب الفواكه والبقول ويعمل له من الأطعمه والأشربه ما يستطيبه ، فعجب بذلك المكان أحد الأخوين وكان كثير الضيافه والصدقة ففرق ماله فى وجوه البر ، وكان الآخر ممسكا يسخر من أخيه إذا فرق ماله ، وكلما باع من قسمه شيئا أشتراه منه حتى أصبح لا يملك شيئا وصارت تلك الجنة لأخيه واحتاج إلى سؤاله فنهره وطرده وعيّره بالتبذير ، وقال كنت أنصحك بصيانة مالك فلم تفعل ونفعنى إمساكى فصرت أكثر منك مالا وولداً وولى عنه مسروراً بمانه وجنته ، فأمر الله تعالى البحر فركب تلك القرى وغرقها جميعاً فاقبل صاحبها يولول ويدعو بالثبور[3] ويقول « ياليتنى لم أشرك بربى أحداً . قال الله تعالى « ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله »[4] .

---

(١) المسعودى : مروج الذهب جـ ١ ص ٣٠٢/٣٠٣

بلر : فتح العرب لمصر ص ٣٠١

(٢) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٧٦

على مبارك : الخطط التوفيقيه جـ ١٠ ص ٤٤

(٣) الثبور : الهلاك والخسران .

(٤) المقريزى : خطط جـ ١ ص ١٧٦

على مبارك : الخطط التوفيقيه جـ ١٠ ص ٤٥

الفتح العربى ودور تنيس
فى الأحداث السياسية

ذكر جماعة ممن شهد فتح مصر أنه مع بداية الفتح العربى ، وبعد أن استقرت أقدام القائد عمرو بن العاص ، وجه عمير بن وهب الجمحي إلى تنيس ودمياط وتونه ودميره وشطا ودقهله وبنا بوصير[1] . وكانت تنيس حينئذ خصاصا من قصب ، ولذا عرفت بذات الأخصاص حتى بداية عهد بنى أميه عندما بنى أهلها قصوراً ولم تزل كذلك إلى صدر الدولة العباسية . ثم دخلها أحمد بن طولون سنة ٢٦٩هـ/٨٨٢م فبنى بها عدة حوانيت وصهاريج تعرف بصهاريج الأمير[2] .

ويروى إبن اسحق أنه لما فتحت دمياط على أيدى المسلمين ، قال الملك الهامونك صاحب دمياط لأبنه شطا[3] « يابنيّ إن الله أنقذنا من نار جهنم وهدانا إلى الصراط المستقيم وجنات النعيم وذلك فضل من الله عز وجل ، وهذه تنيس بالقرب منا وهى جزيرة لا يصل إليها أحد إلا فى المراكب ، والصواب أن نكاتب صاحبها أبو ثور - من العرب النصارى - وندعوه إلى الله تعالى ودين نبينا ﷺ فإن أجاب فبها وإلا سرنا إليه وقاتلناه والله تعالى ينصرنا ، فقال شطا : نعم الرأى ما رأيت وأنا أكون الرسول إليه ، فقال الملك : إعزم على بركة الله . فركب شطا وأربعة رجال من غلمانه ، فقال يزيد بن عامر لشطا : أنا أسير معكم إلى صاحب تنيس فإنه لو سألكم عن أمر ديننا لم يكن لكم خبر بجواب سؤاله ونحن بحمد الله نعلم معالم ديننا ونرد جواب من يسألنا . فقال شطا : سر معنا ، فسار شطا مع غلمانه ويزيد بن عامر ولم يزالوا سائرين حتى أتوا بحيرة تنيس وإذا على ساحلها مراكب من قبل صاحبها وفيها رجال يحفظون ثغورها ومن يأتى من قبل دمياط ، وأذن لهم حاكمها أبو ثور

(١) البلاذرى : فتوح البلدان جـ ٢ ص ٢٥٤ .

(٢) ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٢ ص ٥٢ .

(٣) حاكم المدينة التى ينسب إليه وقوع بين تنيس ودمياط وينسب إليها الثياب الشطويه المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢٦٥ .

بالدخول[1] . إلا أن مجرى الأحداث فيما بعد أثبتت عدم إستجابة أبى ثور للدعوه السلميه من جانب شطا وأبيه الهامولك .

ومن ناحية أخرى فقد سار المسلمون إلى تنيس فخرج إليهم حاكمها فى نحو عشرين ألفا من العرب المتنصرة والقبط والروم فناجزهم فى مواقع كثيرة ودارت بينهم حروب قبل أن يظفر العرب ويهزموا جيشه ويأخذوه أسيراً . ومنذ تم لهم ذلك فتحوا المدينة وبنوا كنيستها جامعاً وغنموا أموالها وقسموها[2] .

وتروى القصة أن شطا لما رأى أن العرب أبطأ عليهم فتح تنيس جمع جيشا من البرلس ودمياط وأهموم طناح وجهزه ولحق باعداد المسلمين ، ثم سار حتى ألتقى بالعدو وأظهر من الشجاعة وحسن البلاء مايظهره الأبطال وقتل بيده إثنى عشر رجلاً من فرسان أهل تنيس وشجعانهم ، ومازال يقاتل حتى قتل ودفن بظاهر المدينة . ويقول المقريزى « أن قبره لا يزال معروفا يزوره الناس من كل أنحاء البلاد المجاورة ليتبركوا به فى يوم مقتله وهو يوم النصف من شعبان[3] .

وأصبح العرب بفتح تنيس ودمياط والبلاد المجاورة مسيطرين على منافذ النيل إلى البحر جميعاً . وأكبر الظن أن سلطان العرب صار يمتد منذ ذلك الحين على كل بلاد مصر السفلى إلا بلاداً قليلة كانت فى الجزائر التى فى مياه بحيرة المنزله الفسيحة[4] .

ونتيجة لذلك أحتفظت القبائل العربية ببقائها فى مصر بعد الفتح زمنا طويلا ، فإن الحمدانى يذكر أن بنى عذره وهم قبائل عربية أقاموا بدمياط وما

---

(١) ابن اسحق الأسوى : فتوح مصر وأعمالها ص ٨٤ .

(٢) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٧٧
ينظر : فتح العرب لمصر ص ٣٠٦ / ٣٠٧
داسيده اسماعيل : مصر فى فجر الاسلام ص ١٨٦ .

(٣) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٧٧ .
ينظر : فتح العرب لمصر ص ٣٠٨

(٤) ينظر : فتح العرب لمصر ص ٣٠٤

حولها بتنيس[1] .

ولم تزل تنيس بيد المسلمين إلى أن كانت إمرة بشر بن صفوان الكلبى على مصر من قبل يزيد بن عبد الملك فى شهر رمضان سنة ١٠١هـ/٧١٩م فهاجم الروم تنيس وقتلوا أميرها مزاحم بن مسلمه المُرادى فى جمع من الموالى[2] ، وفيهم يقول الشاعر :

ألم تربع[3] فيخبرك الرجال بما لاق بتنيس الموالى[4]

واستمرت تنيس بحكم موقعها الهام تشارك فى الأحداث السياسية ،

---

(١) القلقشندى : نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب ص ٢٩٣ .

(٢) الكندى : الولاه والقضاه ص ٧٠
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره جـ ١ ص ٢٤٤
د/ عبد الله خورشيد : القبائل العربية فى مصر ص ١٧٤ وص ٢٣٢

(٣) لم يكن الجيش العربى الفاتح بالرغم من إقامته فى معسكر بنى له خاصة منذ اللحظة الأولى باسم الفسطاط ، لم يكن يقيم فى هذا المعسكر بصفة دائمة فقد كان جنوده يتحركون داخل البلاد لأسباب مختلفة منها الأرتياع ، فكانوا ينتقلون كل ربيع إذا « تدنت الجوزاء وزكت الشعرى وأقلعت السماء وأرتفع الوباء وقل الندى وطاب المرعى ووضعت الحوامل ، درجت القبائل » إلى القرى المصريه يطلقون خيولهم فى حقول الربيع ترعى حتى تسمن بينما ينطلقون هم يصطادون ويشربون اللبن الذى يقدمه المصريون إليهم ويأكلون الفراخ التى يحصلون عليها منهم . ولم تكن هذه العملية التى عرفت باسم « الأرتياع » لم كيفما أتفق بل وضع لها منذ اللحظة الأولى نظام مرسوم ، فكان إذا جاء وقت الربيع والتين كتب الوالى لكل قوم بريدهم ولينهم إلى حيث أحبوا . وبالرغم من أنه كان يترك للقبيله إختيار الجهة التى تفضل الأرتياع بها فى الدلتا أو الصعيد ، فإن الوالى كان يصدر أمراً كتابياً يحدد فيه القريه التى تذهب إليها القبيله وكميات اللبن التى يسمح بالحصول عليها من المصريين .

ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره جـ ١ ص ٧٣
د/ عبد الله خورشيد : القبائل العربية فى مصر ص ٤٥/٤٦

(٤) الكندى : الولاه والقضاه ص ٧٠
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ١ص ٢٤٤
المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٧٧
د/ سيده اسماعيل : مصر فى فجر الاسلام ص ٥٧ .

ذلك أنها نظرا لتطرف موقعها وحصانتها وصعوبة الوصول إليها غدت ملاذاً ومنجأ للهاربين من وجه خصومهم وأعدائهم .

من ذلك أنه حدث أثناء الصراع بين الأمين والمأمون ولدى الخليفه هارون الرشيد أن أراد الأول الغدر بأخيه المأمون . وكان الوالى على مصر من قبل الأمين هو حاتم بن هرثمه بن أعين فلما ثار عليه أهل نتو وتمى[1] بعث إليهم السرى بن الحكم وعبد العزيز بن الوزير الجروى فتغلبا عليه فى شوال سنة ١٩٤هـ/٨٠٩م . ثم ولى الأمر جابر بن الأشعث الطائى مصر وكان لينا ، فلما تباعد ما بين الأمين وأخيه المأمون وخلع الأمين أخاه من ولاية العهد وعهد إلى ابنه موسى ، تكلم الجند فى مصر بينهم فى خلع محمد الأمين غضبا للمأمون ، فبعث إليهم جابر ينهاهم عن ذلك ويحولهم عواقب الفتن ، وأقبل السرى بن عبد الحكم يدعو الناس إلى خلع محمد . وكتب المأمون إلى أشراف مصر يدعوهم إلى القيام بدعوته فأجابوه وبايعوا المأمون فى رجب سنة ١٩٦هـ/٨١١م ووثبوا بجابر فأخرجوه وولوا عباد بن محمد ، فكتب محمد الأمين إلى رؤساء الحوف بولاية ربيعه بن ليس الجرشى – وكان وليس ليس الحوف – فانقاد أهل الحوف كلهم معه يمنها وليسها وأظهروا دعوة الأمين وخلع المأمون وساروا إلى الفسطاط لمحاربة أهلها ، فعقد عباد بن محمد لعبد العزيز الجروى وأرسله فى جيش لقتال خصومه فخرج فى ذى القعده سنة ١٩٧هـ/٨١٢م لقتالهم ، فانهزم الجروى ومضى فى قومه وأتباعه إلى فاقوس ، فقالوا له « لم لا تدعو لنفسك بدون هؤلاء الذين غلبوا على الأرض » . فصادف ذلك هوى فى نفس الجروى ، فمضى فيهم إلى تنيس فنزلها ، ثم بعث بعماله يجبون الخراج من مصر السفلى[2] . وفى تلك الأثناء بلغ أهل الحوف قتل الأمين – وهم أنصاره – فتفرقوا . وولى إمرة مصر المطلب بن عبد الله الخزاعى من قبل المأمون ، وولى عبد العزيز الجروى شرطته ثم عزله ، ثم صرف

(١) ناحيتين بحوف مصر الشرقى من أسفل الأرض .
ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٢ ص ٣٦٦ وص ٤١٢ .

(٢) هو الوجه البحرى وكان مقسما جغرافيا إلى الحوف الشرقى شرق فرع دمياط والحوف الغربى غرب فرع رشيد وبطن الريف بين فرعى رشيد ودمياط .
القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٣٨٠ وص ٣٩٠ .

المطلب وولى العباس بن موسى بن عيسى فى شوال سنة ١٩٨هـ/٨١٣م ، ثم عاد عبد العزيز فتولى الشرطة مرة ثانية[1] . فلما ثار الجند وأعادوا المطلب فى المحرم سنة ١٩٩هـ/٨١٤م هرب الجروى إلى تنيس وأقبل العباس بن موسى من مكة - وكان قد ترك الأمر لأبنه عبد الله فى مصر ربما يحضر هو - فنزل بلبيس ودعا قيسا إلى نصرته ، ثم مضى إلى الجروى بتنيس فشاوره ، فأشار عليه أن ينزل دار قيس . وبعد موت العباس بن موسى مسموعا فى طعام دسه إليه المطلب دان أهل الخوف للمطلب وبايعوه ، وبعد ذلك بعث المطلب إلى عبد العزيز بن الوزير الجروى بولايته على تنيس وأمره بالذهاب إلى الفسطاط - ويبدو أن المطلب أراد بذلك أن يخدع الجروى ويوقع به لأنه عرف رغبته فى الأستقلال وطمعه فى ولاية مصر - إلا أن الجروى رفض وامتنع عن الأمتثال لأمر الوالى . وإزاء هذا بعث المطلب يوالى على تنيس ، ولكن الجروى منعه من ذلك وأخرجه منها ، فبعث إليه المطلب السرى بن الحكم فى جمع من الجند يسألونه الصلح فأجابهم إليه ، إلا أنه اجتهد فى الغدر بهم فقطنوا إلى ذلك وحاربوه ، ثم عاد فدعاهم إلى الصلح ولجأ إلى خدعة أستطاع بها أن يقبض على السرى ويأسره ويسجنه بتنيس وذلك فى جمادى الأولى سنة ١٩٩هـ/٨١٤م[2] .

وفى مجموع النزاع بين المطلب بن عبد الله وعبد العزيز الجروى أخرج الأخير السرى بن الحكم من السجن وعاهده وعقد معه على أن يثور بالمطلب ويخلعه ، فعاهده السرى على ذلك فألقى على أهل مصر أن كتابا ورد بولايته ، فاستقبله الجند من أهل خراسان وأمده قيس بجميع منهم وحارب المصريين الذين أمتنعوا عن تأييده ومبايعته . فطلب المطلب الأمان فأمنه واستبد السرى بأمر مصر .

---

(١) يدل على اضطراب الحالة فى مصر فى ذلك الوقت أن أحمد الشرطه ولبها خمسة رجال على التوالى فى بضعة أسابيع

ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره جـ ٢ ص ١٥٧ .

(٢) الكندى : الولاه والقضاه ص ١٥٤/١٥٥/١٥٦/١٥٧

المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٧٨

على مبارك : الخطط التوفيقيه جـ ١٠ ص ٤٦/٤٧

د. سيده اسماعيل : مصر فى فجر الاسلام ص ١٦٤

ولما ولى المطلب بن عبد الله الخزاعى ولايته الثانية على مصر باجماع الجند (١٩٩/٢٠٠هـ) - (٨١٤/٨١٥م) ولى على الاسكندرية محمد بن هبيره الذى أستخلف عنه عمر بن هلال ، وقام الأندلسيون الذين قدموا الاسكندرية بعد طردهم من وطنهم فى عهد الحكم بن هشام الأموى سنة ١٩٨هـ/٨١٣م بقتل عمر بن هلال هذا واستقلالهم بالاسكندرية ، وبلغ الجروى ذلك فسار إليها فى خمسين ألفا من رجاله وحاصرها وكاد أن يفتحها فى المحرم سنة ٢٠١هـ/٨١٦م ، ولكن السرى بن عبد الحكم الذى خشى إزدياد نفوذ الجروى بعث عمرو بن وهب الخزاعى على رأس جيش إلى مقره بتنيس ، فترك الجروى حصار الاسكندرية ورجع إلى تنيس حيث أخرج جيش السرى منها[1] .

وشاءت الأحوال أن يقتل عبد العزيز الجروى أثناء حصاره مدينة الاسكندرية فى صفر سنة ٢٠٥هـ/٨٢٠م ، وبعده مات السرى بن الحكم فى جمادى الأولى من نفس السنة فبايع الجند سنة ٢٠٦هـ/٨٢١م عبيد الله بن السرى بعد وفاة أخيه أبو نصر بن السرى الذى خلف والده .

وفى تلك الأثناء بعث المأمون واليا على مصر هو مخلد بن يزيد ، فامتنع عبيد الله عن التسليم له فاقتتلوا وانضم على بن عبد العزيز الجروى إلى جانب خالد وجرت بينهما حروب كان نتيجتها أن دخل عبيد الله مدينة تنيس مقر ولاية الجروى ، وفر الأخير هاربا إلى العريش فى رجب سنة ٢٠٩هـ/٨٢٤م وخضعت مصر كلها إلى عبيد الله بن السرى إذا أستثنينا الاسكندرية التى كانت تحت سلطان الأندلسيين قال معلى الطائى :

ألم تر خيله صبحت عليا ... تدق على مناسجها الشاعا
فول عن عساكره وخلى ... على الأسل المذانين والرباعا[2]

(١) الكندى : الولاه والقضاه ص ١٦٥
المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٧٨
على مبارك : الخطط التوفيقيه جـ ١٠ ص ٤٧ .
د/ سيده اسماعيل : مصر فى فجر الاسلام ص ١٦٩
(٢) الكندى : الولاه والقضاه ص ١٧٩

وعندما ولى الخليفه العباسى المعتصم أرسل إلى والى مصر يأمره بأسقاط من فى الديوان من العرب وقطع أعطياتهم وأرزاقهم فعم ذلك ، فثار يحيى بن الوزير الجروى فى جمع من أتباعه فى تنيس وقال « هذا أمر لا نقوم فى أفضل منه لأنه منعنا حقنا وفيئنا » . فخرج الوالى إليه وقاتله فى بحيرة تنيس وأسره وتفرق عنه أصحابه[1] .

وفى تلك الأثناء ظلت تنيس تتعرض لهجمات الروم من ناحية البحر . من ذلك أنه حدث فى خلافة المتوكل سنة ٢٣٩هـ/٨٥٣م أن نزلت الروم بدمياط يوم عرفه فملكوها وقتلوا جمعا كثيرا من المسلمين ومضى الروم إلى تنيس فأقاموا بأشتومها[2] ، وكان والى مصر عنبسه بن إسحق فلم يقاومهم[3] ، قال يحيى بن الغضل للمتوكل :

أترضى بأن توطأ حريمك عنوة ... وأن يستباح المسلمون ويحربوا
حمار أق دمياط والروم وثب ... بتنيس منه رأى عين وأقرب
مقيمون بالأشتوم يبغون مثل ما ... أصابوه من دمياط والحرب ترتب

= الغرزى : الخطط جـ ١ ص ١٧٩
على مبارك : الخطط التوفيقيه جـ ١٠ ص ٤٧ .

(١) الكندى : الولاه والقضاه ص ١٩٣/١٩٤
المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٨٠
د/ سيده اسماعيل : مصر فى فجر الاسلام ص ٢٥٧
مصر فى عصر الولاه ص ٩٨

(٢) الأشتوم : بالضم ثم السكون وتاء مثناه مضمومه والواو ساكنة وميم موضع قرب تنيس وهو المكان الذى يجرى منه ماء البحر الملح إلى البحيرة
ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ١ ص ٢٧٦
الياس الأيوبى : تاريخ مصر الاسلامية ص ١٠٤
د/ سيده اسماعيل : مصر فى فجر الاسلام ص ٨٦ هامش ٦ .

(٣) يقال أن سبب عدم مقاومتهم وغفلته أنه أراد ظهور ولديه يوم العيد حتى يجمع بين العيد والفرح حتى بلغ به الأمر أن أرسل إلى ثغرى تنيس ودمياط فاحضر سائر من كان بهما من الجند والخراجون والزراقين وغيرهم.
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره جـ ٢ ص ٢٩٤ .

فلا تنسا أنا بدار مضيعه بمصر وأن الدين قد كاد يذهب[1]

ويبدو أن وقع غزوة الروم كان شديداً ، فأمر الخليفه المتوكل والى مصر ببناء حصن على البحر بتنيس وأنفق فيه وفى حصن دمياط والفرما مالاً عظيماً[2] .

وفى عهد الدولة الطولونية أثناء ولاية الأمير أبو موسى هرون بن خمارويه أضطربت أحوال مصر إلى أن ورد الخبر بموت الخليفه العباسى المعتضد بالله ومبايعة إبنه محمد المكتفى بالخلافة (٢٨٩/٢٩٥هـ) - (٩٠١/٩٠٧م) . وعندما خرج القرامطه بالشام سنة ٢٩٠هـ/٩٠٢م - وكانت تابعه لمصر - جهز والى مصر جيشا لمحاربتهم ، ولم يستطع هذا الجيش إخراجهم من الشام بل حلت به الهزيمة . ثم وقعت بين هرون وبين الخليفه وحشة وتزايدت إلى أن أرسل المكتفى لحربه محمد بن سليمان الكاتب ، فسار بن سليمان من بغداد إلى حمص وبعث بالمراكب والأسطول من الثغور إلى سواحل مصر ، فخرج هرون لدفع محمد بن سليمان عن دخول مصر وأرسل المراكب الحربية لقتاله . وفى تنيس ألتقى الأسطولان العباسى والمصرى فحلت الهزيمة بأسطول مصر ووقعت تنيس فى يد محمد بن سليمان[3] .

وعندما وصل محمد بن سليمان إلى مصر بالجند كان الأمير عيسى النوشرى من جملة القواد الذين قدموا معه ، فأرسله بن سليمان إلى الخليفة يخبره بانتصاره ، وتوجه عيسى إلى العراق . فلما وصل إلى دمشق وافاه كتاب الخليفة بولايته على مصر . ثم ورد كتاب الخلافة إلى جماعة من القواد ممن كان فى معسكر بن سليمان من بينهم مُهاجرين طليق بتقليده ثغر تنيس ودمياط[4] .

(١) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٨٠
الكندى : الولاه والقضاه ص ٢٠١
حسن الأيوبى : تاريخ مصر الاسلامية ص ١٠٤
(٢) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٨٠
د/ سيده اسماعيل : مصر فى فجر الاسلام ص ٨٦ .
(٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره جـ ٣ ص ١١٠
د/ حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام جـ ٣ ص ١٣٣ .
(٤) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ١٤٥ .

وتجدر الأشارة إلى اهتمام الطولونين بالبحرية ، ولكن السياده فى البحر فى ذلك العصر كانت لبنى الأغلب . والمعروف أن أسطول الخلافة فى طرسوس هو الذى قام بقيادة دمياته بمساعدة القائد محمد بن سليمان فى حملته على مصر ، ونجح فى القضاء على الأسطول الطولونى فى تنيس[1] .

وأثناء ولاية أحمد بن كيغلغ الأخشيدى سنة ٣٢١هـ/٩٣٣م من قبل القاهر محمد . وبعد تولية الخليفة الراضى بالله محمد بن المقتدر ورد كتاب بتولية الأمير محمد بن طغج على مصر وعزل أحمد بن كيغلغ ، فأنكر الأخير ذلك وتهيأ لحربه ، وجهز إليه عساكر مصر ومعه المغاربه ليمنعوه من الدخول إلى الفرما ، وأرسل محمد بن طغج قسما من جيشه فى أسطول والتقى مع عساكر أحمد بن كيغلغ ، وافلح هذا الأسطول فى الأستيلاء على تنيس ودمياط بعد موقعة هائلة وقتال شديد فى السابع عشر من شهر شعبان سنة ٣٢٣هـ/٩٣٤م وسلم الأمر إلى محمد بن طغج[2]،وفى سنة ٣٤٨هـ/٩٥٩م وصلت مراكب من صقليه فنهبوا مدينة تنيس[3] .

وإبان العصر الفاطمى . وقد ترتب على استيلاء الفاطميين على دمشق وقوعهم فى نزاع مع القرامطه . وذلك أن دمشق كانت تدفع الجزية لزعيم القرامطه ردحاً من الزمن ، فعدت هذه الجزيه لا تدفع إليهم بعد إستيلاء الفاطميين على هذه المدينة . وعندما سار جعفر بن فلاح – أحد قواد جوهر الصقلى – لملاقاة الحسن القرمطى دارت رحى الحرب بين الطرفين فأسر جعفر وقتل ووقع كثيرون صرعى فى حومة القتال فى شهر ذى القعدة سنة ٣٦٠هـ/٩٧١م . وعندئذ أسرع الحسن بالسير نحو الجنوب بعد إستيلاءه على دمشق فمر بالرمله وانقض على مصر وهاجم الفرما والقلزم على غره . ولحكم

(١) د/ سيده اسماعيل : مصر فى عصر الأخشيديين ص ٢٦١ .

(٢) الكندى : الولاه والقضاه ص ٢٨٥
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره جـ ٣ ص ٢٤٤
د/ محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية فى مصر ص ٤٩
د/ سيده اسماعيل : مصر فى عصر الأخشيديين ص ٧٩

(٣) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٨٠

بذلك على برزخ السويس فاعترفت بسلطانه مدينة تنيس ، ومن ثم تقدم داخل البلاد وعسكر برجاله فى عين شمس وهدد القاهرة .

ولما تلقى جوهر نبأ وصول الحسن إلى برزخ السويس شرع فى إعداد وسائل الدفاع ، وبعد محاولات وخدع أرغم القرامطه على الرجوع إلى القلزم . وكان ذلك فى الوقت الذى وصلت الأمدادات إلى الفاطميين من القيروان ، فتقوى بذلك جوهر وزحف إلى تنيس إلا أنه عفا عن هفوات أهلها التى أرتكبوها باستسلامهم للعدو[1] .

وبعد مقتل الحاكم بأمر الله الفاطمى سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م أحضرت أخته ست الملك خطير الملك الوزير وعرفته الحال واستحلفته كتمان الخبر والطاعه والوفاء ، وطلبت منه مكاتبة ولى العهد وكان مقيما بدمشق نيابة عن الحاكم — بأن يحضر ، فكتب إليه بذلك ، وأرسلت على بن داود أحد القواد إلى الفرما وقالت له : « إذا دخل ولى العهد فأقبض عليه وأحمله إلى تنيس ، ثم كتبت إلى عامل تنيس بارسال ما عنده من المال ، فأرسله وهو ألف ألف دينار وألف ألف درهم خراج ثلاث سنين ، وجاء ولى العهد إلى الفرما فقبض عليه وحمل إلى تنيس[2] .

وهكذا تبرز مواقف تنيس كمدينة مصرية لها دورها فى مجريات الأحداث السياسيه منذ بداية الفتح العربى . وتستمر تؤثر وتتأثر على مرّ الأيام والعصور .

وقد حدث فى مستهل شهر المحرم سنة ٤٥٠هـ/١٠٨٥م أثناء خلافة المستنصر بالله الفاطمى أن قبض الخليفه على وزيره الناصر للدين عبد الرحمن اليازورى ، وسبب ذلك أنه وشى به للمستنصر أنه يكاتب طغر لبك السلجوقى ويحسن له المجىء إلى مصر ، وأنه أخرج أمواله مع ولده إلى بيت المقدس .

(١) د/ حسن ابراهيم : الفاطميون فى مصر ص ١١٣/١١٤
ابن ميسر : المنتقى من أخبار مصر ص ١٦٢
(٢) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٨٠
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٤ ص ١٨٩

وكان أن أخرج الخليفه وزيرة إلى تنيس ومعه نساؤه وأولاده الصقالبه ، وأخرج الوزير ليلا وضربت رقبته فى أسفل دار الأمارة بتنيس وحملت رأسه إلى المستنصر[1] .

وفى سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م تفاقم الحال واختلت أحوال مصر ، وعجز الخليفه المستنصر الفاطمى أن يصنع شيئا لعلاجها فاستدعى واليه على عكا أمير الجيوش بدر الجمالى ، فلبى الدعوه بشرط أن يستقدم معه عسكره من الأرمن بنى جنسه . وسار بدر الجمالى فى مائة مركب أربعين يوما حتى وصل دمياط فى شتاء سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٤م فأقام بها وتوجه إلى تنيس ليقترض من تجارها مالا[2] ، مما يدل على نشاط تنيس التجارى وثراء تجارها فى الوقت الذى كانت بقية بلاد مصر تعانى شدة عظمى .

وفى أواخر عهد المستنصر ، لم يحاول الفاطميون العمل على محاربة النورمان الذين أستولوا على صقلية ، فخرجت بذلك عن حكم الفاطميين ، بل وجدنا الخلفاء بعد المستنصر يقيمون علاقات سلميه مع النورمان وبخاصة فى المجال التجارى ولكن ظهور ملوك متعصبين منهم ومشاركتهم الصليبين الذين هددوا الشرق الأوسط جعلهم يغيرون من سياستهم نحو الفاطميين حتى أنهم أغاروا على موانىء مصر مثل تنيس ودمياط والاسكندرية فى أواخر أيام الدولة الفاطمية[3] .

وفى إطار الحركة الصليبية يمكن القول بأن مملكة بيت المقدس الصليبية وصلت سنة ٥١٠هـ/١١١٦ م على يد ملكها بلدوين الأول إلى حدودها التاريخية المعروفة . ولم يبق بعد ذلك أمام بلدوين إلا أن يهاجم الفاطميين فى عقر دارهم ليشعرهم بقوته بعد أن أحس هو بضعفهم[4] .

(١) ابن ميسر : المنتقى من أخبار مصر ص ١٦

(٢) ابن ميسر : المنتقى من أخبار مصر ص ٤٠
د/ عبد المنعم ماجد : ظهور الخلافة الفاطمية ص ٣٩٣

(٣) د/ عبد المنعم ماجد : ظهور الخلافة الفاطمية ص ٢٨٧
ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ ١١ ص ١٩٠

(٤) د/سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ١ ص ٣١٩
Grousset: His. de croisades I. p.283

وكان أن أستطاع بلدوين أن يعبر الصحراء الممتدة من غزه حتى العريش والفرما دون أن يتعرض لتهديد من جانب العدو . ولم يلبث أن وصل الصليبيون فى سنة ٥١٢هـ/١١١٨م واستولوا عليها ثم أتجه غربا نحو مصب النيل . ويروى إبن الأثير أن بلدوين الأول وصل إلى مدينة تنيس فى بحر المنزلة[١] ، ولكن الأسطول الصليبى توقف ببحيرة المنزلة وتنيس ولم يستطع التقدم فى النيل جنوبا صوب القاهرة[٢].

وفى سنة ٥٧١هـ/ ١١٧٥م وصلت إلى تنيس من موانىء صقليه نحو أربعين مركبا فحاصروها يومين ، ثم وصل إليها من صقليه أيضا سنة ٥٧٣هـ/١١٧٧منحو أربعين مركبا فقاتلوا أهل تنيس حتى ملكوها . وكان محمد بن اسحق صاحب الأسطول قد حيل بينه وبين مراكبه فاندمج فى طائفة من المسلمين إلى مصل تنيس ، فلما أجنّهم الليل هجم بمن معه على الفرنج وهم فى غفلة فأخذ منهم مائة وعشرين فقطع رؤوسهم فاصبح الفرنج إلى المصل وقاتلوا من بها من المسلمين ، فقتل من المسلمين نحو السبعين وسار من بقى منهم إلى دمياط ، فمال الفرنج على تنيس والقوافيها النار فاحرقوها وعادوا وقد امتلأت أيديهم بالغنائم والأسرى إلى الاسكندرية بعد ما أقاموا بتنيس أربعة أيام[٣] .

وبقدوم سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م نزل فرنج عسقلان فى عشر حراريق على أعمال تنيس وعليها رجل منهم يقال له المعز فأسر جماعه ، وكان على مصر الملك العادل من قبل أخيه الملك الناصر صلاح الدين يوسف ، فثار به المسلمون وقاتلوه وقبضوا عليه وقطعوا يديه ورجليه وصلبوه ... وفى سنة ٥٧٧هـ/١١٨١م أنتدب السلطان لعمارة قلعة تنيس وتجديد ألاتها عندما أشتد

(١) د/ سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ١ ص ٣٢٠
ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥١٢هـ جـ ١٠ ص ٥٤٣
(٢) د/ سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ٦٧٦
(٣) ناصر خسرو : سفر نامه ص ٣٨ هامش ٢
المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٨١
ابن إياس : بدائع الزهور جـ ١ ص ٤٩/٥٠
د/ راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ٢٩٧

خوف أهل تنيس من الأقامة بها ، فقدر لعمارة سورها القديم على أساساته الباقية مبلغ ثلاثة آلاف دينار ثمن أصناف وأجر[1] .

وعندما احتدم الصراع بين المسلمين والصليبين ، وغدت مصر هدفا للصليبين بعد إستيلاء المسلمين على بيت المقدس فى أواخر القرن الثانى عشر لميلاد ، أمر صلاح الدين سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م ، عقب صلح الرمله باخلاء تنيس ونقل أهلها إلى دمياط فأخليت فى شهر صفر من الذرارى والأثقال ولم يبق سوى المقاتله فى قلعتها .

ومن الواضح أن تطرف تنيس جهة الشرق وغناها ونشاطها الأقتصادى ، جعل صلاح الدين يخشى عليها الخطر الصليبى ، وقد صدق حدس صلاح الدين إذ تكررت إغارات الصليبين البحريه على شواطىء مصر وثغورها الشماليه ، ولذلك أمر الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر الأيوبى فى سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٧م باخراج سكان تنيس منها ونقلهم إلى دمياط ، كما أمر بهدم ما بقى من سورها وبيوتها ولم يبق منها إلا رسومها فى بحيرة المنزلة[2] .

---

(١) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٨١

(٢) ناصر خسرو : سفر نامه ص ٣٨ هامش ٢
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره جـ ٥ ص ٣١٢ هامش ٢
المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٨١
ابن إياس : بدائع الزهور جـ ١ ص ٤٩/٥٠
على مبارك : الخطط التوفيقية جـ ١٠ ص ٤٩

مكانة تنيس الأقتصادية

أشتهرت مصر منذ أقدم العصور بزراعة الكتان وصناعته فضرب المصريون بسهم وافر فى زراعته واهتموا إهتماما كبيراً بأن ينسجوا من ألياقه أنفس منسوجاتهم التي كانت تصنع منها الملابس الفاخرة . ومن أجل ذلك عنوا بزراعة الكتان وحصاده للحصول على الياف كتانية جيدة تسمح بغزل خيوط دقيقة[1] .

ولما كانت الأراضى التى يرويها النيل متفاوته فى المستوى فإن نصيبها من الماء تباين حسب إرتفاعها وانخفاضها ، بمعنى أن أوطأ الأراضى كانت أوفرها ماء ، وهى التى تظل مغموره بالماء أطول مده مما يجعلها أصلح الأراضى لزراعة الكتان . وكان أن تركزت صناعات المنسوجات الكتانية فى مصر فى العصور الوسطى فى تنيس ودمياط وشطا ودبيق والبهنسا وأسيوط[2] . وهى الأماكن المنخفضة الكثيرة المياه مما جعلها موضع إهتمام المصريين وعنايتهم بزراعة الكتان .

وقبل الإسلام أقبل الأقباط على المنسوجات الكتانية فانتشرت صناعتها على نطاق واسع ، وصنع المصريون من الكتان أغلب ما يحتاجون إليه من ملابس وبسط وستور[3] . وفى ظل الإسلام استمرت هذه الصناعة قائمة ، ومارسها كثير من العمال القبط الذين أحتفظوا بدينهم[4] .

ويذكر ياقوت الحموى الذى عاش فى أوائل القرن السابع الهجرى أن ناسجى الثياب فى تنيس ودمياط من القبط مما جعل العرب يطلقون على المنسوجات المصرية إسم قباطى[5] .

(١) سيد محمود خليفه : تاريخ المنسوجات ص ١٢٢/١٢٣

(٢) د/ راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ٦٨

(٣) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٣٦٥
سيد محمود خليفه : تاريخ المنسوجات ص ١٤٤

(٤) ناصر خسرو : سفر نامه ص ٣٨ هامش ٢

(٥) ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٢ ص ٦٠٢
د/ سيده اسماعيل : مصر فى فجر الاسلام ص ٢٨٠

وقد أسهمت حكومات مصر فى العصور الوسطى فى صناعة النسيج ، حتى أنها كادت تسيطر على تلك الصناعة . والواقع أن هذه السيطرة لم تكن من إبتكار الحكام المسلمين ، وإنما أخذوها عن الحكم البيزنطى . ذلك أنه من الثابت أن البيزنطيين أنشأوا فى مصر مصانع حكوميه للنسيج إلى جانب المصانع الأهلية . ولما جاء المسلمون أبقوا على هذا النظام وعرفت مصانع النسيج باسم الطراز[1] .

أما القول بوجود مصانع تنسج ما يريده الخليفه وما ينعم به على حاشيته من ملابس ، فهذا نظام معروف منذ أيام الساسانيين ، فقد كان الطراز ينسج فى مصانع أعدت له فى قصر كسرى ، فلما قامت الدولة الأموية نقلت هذا النظام عن الساسانيين ثم توسع فيه العباسيون من بعدهم ، فكثرت هذه المصانع الحكومية وأصبح مكانها حيث تكون المادة الأساسية فى الصناعة[2] .

وقد عنى الخلفاء والأمراء بكتابة أسماءهم على الأقمشة الثمينة التى كانوا يتخذونها ملابس لهم أو خلعا يخلعونها على كبار رجال دولتهم ، وكانت الكتابة على النسيج بلحمه[3] من الذهب أو الفضه أو الخطوط المتعددة الألوان ، وكانت الكتابة تشمل إسم الخليفه وألقابه وبعض عبارات الأدعيه ، وكثيراً ما كان يذكر فيها إسم المدينة التى فيها طراز واسم الوزير وصاحب الخراج وناظر الطراز[4] .

---

(١) طراز : مشتق من الفارسيه (ترازيدان) وتراز بمعنى التطريز وعمل المدقع Broderie . ثم أصبح يدل على ملابس الخليفة أو الأمير أو السلطان ورجال الحاشية أصحاب المناصب العالية لاسيما إذا كان فيها شيء من التطريز وعلقها أشرطه من الكتابة واتسع مدلول هذا اللفظ حتى أنتهى فى العربية والفارسيه إلى الدلالة على المصنع والمكان الذى تصنع فيه هذه المنسوجات .
د/ زكى محمد حسن : الفن الاسلامى فى مصر جـ ١ ص ٨٤
د/ حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام جـ ٤ ص ٣٩٢
د/ سيده اسماعيل : مصر فى عصر الولاة ص ١٥٨/١٥٩

(٢) ناصر خسرو : سفر نامه ص ٣٨ هامش ٢

(٣) اللحمه : هو ما نسج عرضا من الثوب .
د/ سيده اسماعيل : مصر فى عصر الولاه ص ١٥٦ هامش ١

(٤) د/ سيده اسماعيل : مصر فى عصر الولاه ص ١٥٩ / ١٦٠
ونقل المقريزى عن ابن الطوير حديثا طويلا عن صاحب الطراز وحقوقه وواجباته وهذا نصه : =

وكان المركزان الكبيران لصناعة نسيج الكتان فى مصر الاسلامية هما الفيوم وبحيرة تنيس بنواحيها ، وهى مدينة تنيس ودمياط وشطا ودبيق ، وغدت تنيس ودمياط أكبر مركزين لصناعة النسيج[1] .

ويقول ابن حوقل فى كتابه « المسالك والممالك » « من جليل مدنها وفاخر خواصها ما خصت به تنيس ودمياط ، وفيهما يتخذ ويعمل رفيع الكتان وثياب الشروب[2] والدبيقى والمنصبغات من الحلل التنيسيه التى ليس فى الأرض ما يدانيها من القيمة والخسس والنعمة والترف والدقة ، وربما بلغت الحله من ثيابها مائتين دينار إذا كان فيها ذهب ، وقد يبلغ ما لا ذهب فيه منها مائة دينار وزائداً وناقصا وان كان شطا ودبيق ودمياه وتونه وما قاربهم بتلك الجزائر يعمل فيها الرفيع من هذه الأجناس ، فليس ذلك بمقارب للتنيسى والدمياطى والشطوى »[3] .

وكان بتنيس من مناسج القماش نحو خمسة آلاف منسج[4] ، وأختصت بصنع الثياب السريه وكسوه الكعبة . ويقول الفاكهى فى كتابه أخبار مكه « رأيت كسوة من قباطى مصر مكتوبا عليها « بسم الله بركة من الله مما أمر به عبد الله المهدى محمد أمير المؤمنين أصلحه الله محمد بن سليمان أن يصنع فى طراز تنيس كسوة الكعبة على يد الخطاب بن مسلمه عامله سنة ١٥٩هـ » .

= « الخدمة فى الطراز وبعث بالطراز الشريف ولا يتولاه إلا أعيان المستخدمين من أرباب الاقلام والسيوف وله اختصاص بالخليفه دون كافة المستخدمين ومقامه بدمياط وتنيس وغيرها .

د/ زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ص ١١٢

(١) آدم ميتز : الحضارة الاسلامية جـ ٢ ص ٣٥١

د/ راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ١٣٢

(٢) الشروب : المقصود الثياب التى تشرب العرق

(٣) ابن حوقل : المسالك والممالك ص ١٠١

ناصر خسرو : سفر نامه ص ٣٨ هامش ٢

ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٢ ص ٤١٩

المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٧٧

على مبارك : الخطط التوفيقيه جـ ١٠ ص ٤٦

د/ زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ص ١١٤

سيد محمود خليفه : تاريخ المنسوجات ص ١٤٦

(٤) ناصر خسرو : سفر نامه ص ٣٨ هامش ٢

ابن اياس : بدائع الزهور جـ ١ ص ٤٩

ويقول رأيت كسوة من كسا المهدى مكتوبا عليها « بسم الله بركة من الله نعبد الله المهدى محمد أمير المؤمنين أطال الله بقاءه مما أمر به إسماعيل بن ابراهيم أن يصنع فى طراز تنيس على يد الحكم بن عبيده سنة ١٦٢هـ »[١] .

ولقد برزت مدينة تنيس فى صناعة المنسوجات الكتانية وأخذت هذه الصناعة فى الأزدهار وبلغت ذروة مجدها إبان عهد الدولة الفاطمية إذ بلغت من التقدم والرقى قدراً كبيراً لم تشهده مصر الاسلامية فى أى عهد من عهودها .

ومن العوامل التى كان لها أكبر الأثر فى تقدم الصناعة اكتساب الأمن وهو من نتائج الاستقلال وقوة الحكومة المركزية الأمر الذى أشار به المقدسى حين تكلم عن سيادة الأمن والنظام والعداله[٢] .

ومما يدل على عظمة تنيس فى النسيج وتقدمها فى هذه الصناعة وتفرد أنه كان يصنع بها للخليفة ثوب يقال له « البدنة » لا يدخل فيه من الغزل سداه[٣] ولحمه - عبر أوقيتين وينسج بافيه بالذهب صناعة محكمة لا تحتاج إلى تفصيل ولا خياطة وتبلغ قيمته ألف دينار ، ولم يحفظ لنا التاريخ أن قطعة نسيج تبلغ قيمتها ألف دينار إلا فى مدينة تنيس ودمياط[٤] .

---

(١) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٨١
الذهب المسبوك ص ٤٣ هامش ١
على مبارك : الخطط التوفيقيه جـ ١٠ ص ٤٩
د/ سيده اسماعيل : مصر فى فجر الاسلام ص ٢٩٠
مصر فى عصر الولاه ص ١٦٠

(٢) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٢١٢

(٣) السدى من الثوب خلاف اللحمه وهو ما مد من خيوط النسيج
د/ سيده اسماعيل : مصر فى عصر الولاه ص ١٥٦ هامش ١

(٤) آدم ميز : الحضارة الاسلامية جـ ٢ ص ٣٥٢
ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٨١
بتلر : فتح العرب لمصر ص ٣٠٥
د/ زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ص ١٢٩ هامش ١
د/ حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام جـ ٢ ص ٣٠٤

وإلى جانب هذه الثياب الجيدة ، ثياب رفيعه مهلهلة النسيج كأنها المنخل وهى المسماة « بالقصب » وكان هذا القصب يلون والملون منه ينسج بتنيس ولم ينسج فى أى مكان آخر قصب ملون مثله ، وكانت تصنع منه عمائم الرجال والوقايات وملابس النساء[1] .

كذلك أشتهرت مدينة تنيس بصناعة الحرير القرقبى[2] المنسوج بالذهب ، ووجدت فى خزائن المعز لدين الله خريطة كان قد أمر بعملها سنة ٣٥٣هـ/٩٧٤م من هذا الحرير زرقاء اللون مبنا عليها بالذهب أقطار العالم بما فيها من جبال وبحار وأنهار وطرق ومدن[3] .

وبمدينة تنيس صناع مختصون بنسيج ملابس السلطان فى مصانع خاصة تنسج بها أثوابه . ويروى الرحاله ناصر خسرو أنه سمع عن عامل نسج عمامة السلطان فأمر له بخمسمائة دينار مغربى. وشاهد هذه العمامه ويقال أنها تساوى أربعة آلاف دينار مغربى . وما يصنع فى هذه المصانع لا يعرض فى الأسواق ولا يعطى أو يمنح لأحد ، ويذكر أيضا أن ملك فارس أرسل رسله إلى مدينة تنيس بعشرين ألف دينار ليشترى له بها حلة من كسوة السلطان وبقى رسله هناك عدة سنين ولم يستطيعوا شراءها[4] .

= د/ راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ١٣٣
د/ سيده اسماعيل : مصر فى فجر الاسلام ص ٢٨٣
مصر فى عصر الولاه ص ١٥٦

(١) ناصر خسرو : سفر نامه ص ٣٨
آدم ميتز : الحضارة الاسلامية جـ ٢ ص ٣٥٣
د/ زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ص ١١٤
د/ سيده اسماعيل : مصر فى فجر الاسلام ص ٢٨٣
سيد محمود خليفه : تاريخ المنسوجات ص ١٤٦

(٢) القرقب : طائر يرى فى القدر والمستنقعات . ومن هذا اللفظ قيل قماش قرقبى وهو نوع من القماش كان يصنع أولا فى بلاد اليونان ثم أدخلت صناعته إلى مصر ، فصار يصنع فى تنيس ، وهذا القماش مشهور بالوانه اللامعه التى تتغير دائما لاسيما إذا أنعكست عليها أشعة الشمس
د/ حسن ابراهيم : الفاطميون فى مصر ص ٢٥٧ هامش ٥

(٣) د/ حسن ابراهيم : الفاطميون فى مصر ص ٢٥٧

(٤) ناصر خسرو : سفر نامه ص ٣٨
د/ زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ص ١١٥

واشتغلت المناسج المصرية فى خلافة العزيز بالله الفاطمى بصنع ثوبين جديدين من النسيج هما العتابى[1] و السقلاطون[2] وينسب الأول إلى أحد أحياء بغداد والثانى إلى بلاد الروم ، ويمكن تعليل ذلك بحسن العلاقة بين العزيز وعضد الدولة ، والصلح مع الروم سنة ٣٧٧هـ/٩٨٧م .

وفى القرن الخامس للهجرة ظهر نوع جديد من القماش وهو المسمى أبا قلمون[3] من الحرير المتغير الألوان . وكان يصنع فى مدينة تنيس وحدها ولا ينسج فى مكان آخر من العالم ، وتصنع منه أسفار[4] هوادج الجمال وليود[5] سروج الخيل الخاصة بالسلطان وكان يصدر إلى بلاد المشرق والمغرب . واحتل هذا النوع مكانه مرموقه فى أسواق القسطنطينية ، حتى أن ملك الروم كان قد

---

(١) العتابى : نوع من الثياب الحريرية وينسب إلى ابن حميد محمود المسمى عتاب ، وكان هذا النوع يصنع فى بغداد وإليه ينسب حى العتابيه بها .
د/ راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص١٣٣ هامش ٥
د/ حسن ابراهيم : الفاطميون فى مصر ص ٢٤٢ هامش ٢

(٢) السقلاطون : كلمه يونانيه تطلق على ثياب كتانية موشيه
د/ راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ١٣٣ هامش ٦

(٣) أبا قلمون - تنسبه إلى قلمون أو أبو قلمون وهى الحرباية (من اليونانية Khatn âilen ، والفرنسية icomeleon) بمعنى أسد الأرض أو الحربية ، وأطلق هذا الأسم على نوع من النسيج كان يصنع فى بلاد اليونان ثم فى مصر ولاسيما فى تنيس . ومن خواصه أنه يظهر فى بلاد اليونان ثم فى مصر ولاسيما فى تنيس . ومن خواصه أن يظهر بألوان شتى على حسب تعرضه للشمس والوضع الذى يكون فيه واختلاف ساعات النهار .
ويذكر المقدسى أن أبا قلمون هى دابه تحتك بحجارة على شط البحر فيقع منها وبرها وهو فى لين الخز لونه لون الذهب لا يغادر منه شيئاً وهو عزيز الوجود فيجمع وينسج منه ثياب تلون فى اليوم ألوانا ، وربما بلغ ثمن الثوب عشرة آلاف دينار .
المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٢٤٠
الكرخى : المسالك والممالك ص ٤٢
آدم ميتز : الحضارة الاسلامية جـ ٢ ص ٣٥٤
د/ زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ص ٥٢ هامش ٢

(٤) أسفار : جمع سفر وهو حافه (حافة الهودج)

(٥) ليود : جمع لبده وهى الجزء المرتفع الوثير من سرج الخيل أو برذعة الحمار .

أوفد رسولا إلى الخليفه ليعرض عليه أن يمنحه مدينة تنيس على أن يعطيه مقابلها مائة مدينة فلم يقبل السلطان[1] .

والشواهد كثيرة على ما تمتعت به تنيس من شهرة فائقة حتى أصبح يضرب بها المثل فى جودة إنتاجها من الثياب . فقد روى إبن خلكان أنه وصل إلى حضرة سيف الدولة الحمدانى الشاعران المشهوران أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد إبنا هاشم ، ومدحاه ، فأنزلهما بضيافته : وقام بواجب حقهما وبعث لهما مره وصيفا ووصيفه ومع كل واحد منهما بدره[2] وتخت ثياب من صنع مصر ، فقال أحدهما من قصيدة طويلة .

هذا ولم تقنع بذاك وهذه ... حتى بعثت الدار وهو نفيس
أتت الوصيفه وهى تحمل بدرة ... وأتى على ظهر الوصيف الكيس
وحبوتنا مما أجادت حوكه ... مصر وزادت حسنة تنيس[3] .

إلا أن هذه الصناعة المتميزة والتى أشتهرت بها هذه المدينة ، فقدت كثيراً من العناية بها منذ أواخر عهد الدولة الفاطمية ، نتيجة للظروف والأحداث التى مرت بها ، والتى من أهمها ما أصيبت به مصر من شدة عظمى فى عهد الخليفة المستنصر بالله . وكذا ما مرت بها من أحداث وأضطرابات سياسيه إبان عصر الأيوبيين والمماليك والتى ترتب عليها القضاء على مركز هام لصناعة المنسوجات فى النصف الأول من القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) ، عندما أمر الملك الكامل بهدم مدينة تنيس خشية الغزو الصليبى كما ذكرنا .

وإلى جانب صناعة المنسوجات عرفت تنيس صناعة المعادن وأهمها الحديد حيث صنعوا منه المقصات والسكاكين . واعتقد أن صناع المقصات هذه حتمتها وجود صناعة المنسوجات القائمة للحاجة إليها فى قص القماش وتفصيله .

---

(١) ناصر خسرو : سفر نامه ص ٣٨

(٢) البدره : عشر آلاف درهم .

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣ ص ٤٠٥

ويذكر ناصر خسرو أنه رأى مقراضا صنع بتنيس ثمنه خمسة دنانير مغربية يفتح إذا رفع مسماره ويقص إذا أنزل[1] .

وكانت صناعة السلاح المتخذ من الصلب من الصناعات التى كادت تبلغ فى تنيس مبلغ منسوجاتها من الوفره والجوده . وكان هذا السلاح ينقل بواسطة السفن مع المقاتله لغزو بلاد الروم عن طريق الموانىء ومنها تنيس ألتى أقام بها جيش كامل السلاح والعدة لوقت الطوارىء[2] .

وكان من الطبيعى أن يترتب على تلك الصناعات وزيادة إنتاجها وسهولة إتصال تنيس بداخل البلاد وخارجها ، وجود نشاط وعلاقات تجارية مع مختلف الدول . وقد أسهمت المدينة بسهم وافر فى مجموع نشاط مصر التجارى منذ فجر الأسلام نتيجة لأهتمام العرب بالتجارة على وجه الخصوص . وعبر المؤرخون المسلمون عن موقع مصر الممتاز فقال بعضهم ، « أنها فرضة الدنيا يحمل من خيرها إلى سواحلها ، ومن جهة تنيس ودمياط والفرما فرضة بلاد الروم ... »[3] .

وعلى الرغم من عدم إستقرار الحالة السياسيه وسوء العلاقات بين الدولة البيزنطيه ومصر منذ الفتح الاسلامى لم تتوقف العلاقات التجارية ، إذ كانت بيزنطه فى حاجة إلى بعض المصنوعات المصرية الممتازة مما تنتجه مناسج تنيس ويقبل عليها الأباطره لتزيين قصورهم ، كما أهدى البابوات الكنائس المسيحيه فى أوربا كثيراً من هذه الأنواع[4] .

---

(١) ناصر خسرو : سفر نامه ص ٤٠
د/ حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام جـ ٤ ص ٣٩٤

(٢) ينظر : فتح العرب لمصر ص ٣٠٦
د/ حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام جـ ٢ ص ٣٠٥ ، جـ ٤ ص ٢٧٣

(٣) النويرى : نهاية الأرب جـ ١ ص ٣٤٠
المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢٨
د/ سيده اسماعيل : مصر فى فجر الاسلام ص ٣٥٢
مصر فى عصر الولاه ص ١٦٨

(٤) ينظر : فتح العرب لمصر ص ٣٠٦
د/ زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ص ١١٥

وقد كان لموقع تنيس وارتباطها بشبكة من المواصلات الداخليه والخارجية أثر واضح فى نشاطها التجارى ، فهى على إتصال بشرق الدلتا بواسطة خليج من فرع دمياط يصب فى بحيرة المنزلة . وفى هذا يقول الأدريسى الرحالة الجغرافى الذى زار مصر فى القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) . « إننا إذا أردنا المسير من دمسيس إلى تنيس متبعين فرع النيل الرئيسى كان علينا أن نتوجه أولا إلى طنخا حيث ينقسم هذا الفرع إلى خليجين أحدهما يجرى غربا إلى دمياط والآخر يتجه شرقا إلى تنيس . »[1] .

كما كانت حركة الملاحه فى النيل بالغة النشاط ، فقد شاهد ناصر خسرو فى ساحل مدينة مصر من السفن أكثر مما رآه فى بغداد والبصرة ، وكان عند تنيس دائما نحو ألف مركب بعضها للتجار ومنها أيضا للسلطان ، حيث يجلب إليها كل ما تحتاجه وتجرى المعاملات فيها بالسفن فلا طريق إليها إلا بذلك[2] .

أما إتصال مصر البحرى بمدن وسواحل الشام ، فكانت تنيس إحدى مراكز هذا الأتصال الهام إلى جانب الاسكندرية ودمياط . فبعد مغادرة الساحل الشمالى لمصر تسير المراكب بحذاء الساحل الشامى مارة بعسقلان وقيساريه ويافا[3] .

= د/ حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام جـ ٤ ص ٤٠٨

د/ محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية ص ١٥٨

Heyed: Histoire du commerce tome 1 p 48, 58

(١) الأدريسى : نزهة المشتاق فى إختراق الآفاق ص ٨ .

المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢١٤

د/ راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ٢٨٢

Quatremère: Memoires Geogra phiques et historiques, tome 1 p. 297.

(٢) ناصر خسرو : سفر نامه ص ٣٩

المقريزى . الخطط جـ ١ ص ١٧٧

على مبارك : الخطط التوفيقيه جـ ١٠ ص ٤٥

د/ راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ٢٨٣

(٣) د/ راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ٢٩٣

وكانت المراكب تبدأ سيرها من تنيس على ما يستفاد من قول اليعقوبى « بها مرسى المراكب الواردة من الشام والمغرب »[1] .

كما كان هناك أتصال بحرى بين تنيس والقسطنطينيه وجزيرة قبرص ، وأهم ما كانا تشتغلان باصداره المنتجات المحلية وكانت السفينة تقطع المسافة بين تنيس والقسطنطينيه فى عشرين يوماً[2] .

وقد ورد فى الأخبار أن تجارة تنيس مع العراق فى القرن الرابع الهجرى وحده بلغت من عشرين ألفا دينار إلى ثلاثين ألف فى السنة الواحدة[3] .

وقامت تنيس بدور تجارى هام مع كثير من الدول الأفريقية والأسيوية ، فذكر اليعقوبى أن مراكب بلاد المغرب كانت ترد إلى ثغر تنيس[4] .

وذكر المقريزى أن ما كان يحمل من ثغور تنيس والاسكندرية ودمياط إلى عسقلان وصور من المنتجات الزراعية بلغ مائة وعشرين ألف أردب من الغلال[5] .

أما المسبحى فقد ذكر فى حوادث سنة ٣٨٤هـ « وفى ذى القعدة ورد يحيى بن اليمان من تنيس ودمياط والفرما بهديته وهى أسفاط[6] وتخوت

(١) اليعقوبى . كتاب البلدان ص ٣٣٥
د/ راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ٢٩٤
(٢) ناصر خسرو : سفر نامه ص ٤٠
الأدريسى : نزهة المشتاق فى إختراق الآفاق ص ٨
د/ راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ٢٩٦
(٣) ابن حوقل : المسالك والممالك ص ١٠١
بنظر : فتح العرب لمصر ص ٣٠٥
آدم ميتز : الحضارة الاسلامية جـ ٢ ص ٣٥٣
(٤) اليعقوبى . كتاب البلدان ص ٣٣٥
د/ راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ٤٧
(٥) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٠٩
ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٣٢٥
د/ سيده اسماعيل : مصر فى فجر الاسلام ص ٥٧
(٦) أسفاط : جمع سفط ، وهو ما يعبىء فيه الطيب وما أشبه من أدوات النساء .

وصناديق مال وخيل وبغال وحمير وثلاث مظال وكسوتان للكعبة . وفى ذى الحجة سنة ٤٠٢هـ وردت هدية تنيس الواردة فى كل سنة منها خمس نوق[1] مزينة ومائة رأس من الخيل بسروجها ولجمها وصناعات عده[2] .

وبفضل نشاط مدينة تنيس التجارى أسهمت فى إنعاش ايرادات الحكومه - خاصة فى العصر الفاطمى - عندما أهتم الخلفاء بتنمية موارد بيت المال وتنظيم مصارفه ، ففرضت الرسوم على التجارة والصناعة خاصة صناعة النسيج فى مراحلها المختلفة إلى جانب الجزيه والخراج والضرائب المفروضه على الصناع والأجراء[3] .

ويبدو أن المسلمين لم يحاولوا فى أول الأمر التدخل فى النشاط الأقتصادى للأفراد أو الحد من مكاسبهم ، ولكن مع مرور الوقت أزدادت المكوس والضرائب حتى أن المقدسى الذى زار مصر فى أوائل عهد الفاطميين يقول « أما الضرائب فثقيله بخاصة تنيس ودمياط ، ويوجد بتنيس على زق الزيت دينار ومثل هذا وأشباهه ، ورأيت بساحل تنيس ضرائبا جالسا قبل : قبالة هذا الموضع فى كل يوم ألف دينار ومثله عدة على ساحل البحر بالصعيد وساحل الاسكندرية »[4] .

وقد بلغ من شدة وطأة الضرائب بتنيس وكثرة الرسوم أن أهلها شكوا منذ أوائل القرن الثالث للهجرة - التاسع للميلاد إلى البطريق وهو مار بمصر حوالى سنة ٢٠٠هـ/٨١٥م أن الواحد يلزم بدفع خمسة دنانير فى كل عام وهو مبلغ لا يقدرون عليه ، ولكنه يحصل منهم بقسوه[5] .

كذلك فرض العرب ضرائب على التجارة الخارجية التى تمر بالثغور أو

(١) نوق : جمع ناقه

(٢) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٨١

(٣) د/ راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ١٣٧

(٤) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٢١٣

ادم ميتز : الحضارة الاسلامية جـ ١ ص ٢٣٥/٢٣٦

د/ سيده اسماعيل : مصر فى عصر الأخشيديين ص ٣٦٠

(٥) ادم ميتز : الحضارة الاسلامية جـ ١ ص ٢٣٥ .

التى ترد إليها أو تصدر منها ، فكانت المكوس تجبى فى الثغور الاسلامية ومنها تنيس ، وهى تشتمل على عدة معاملات مثل الزكاة والجوالى[1] ودار الضرب[2] وواجب أهل الذمة والمواريث الخشرية[3][4] .

ويروى ناصر خسرو أنه سمع من الثقات أنه يصل من مدينة تنيس لخزانة سلطان مصر يوميا ألف دينار مغربى ويصل ذلك المقدار مرة واحدة يحمله شخص واحدة يسلمه أهل المدينة إليه فى وقت معين وهو يسلم للخزانه فلا يتأخر منه شىء[5] .

وفى الحق أن ثروة مصر الضخمه مكنت الفاطميين من بسط سلطانهم على الشام وفلسطين والحجاز ، يضاف إلى ذلك أن نظام الضرائب الذى وضعه يعقوب بن كلس وعلوج بن الحسن كانت نتيجته أن زاد خراج مصر بمقدار كبير ، وقد أسهمت تنيس بشكل واضح فى تلك الزيادة . فصار خراج مدن تنيس ودمياط والأشمونين يزيد عن ٢٠٠,٠٠٠ مائتين ألف دينار وذلك أمر لم تعهده مصر من قبل[6] .

(١) الجوالى : المقصود بها ما جبته الدولة من أهل الذمه من اليهود والنصارى الذين دون النساء والصبيان والرهبان والأرقاء والعابدين ، فضلاً عن الشيوخ والفقراء فى بعض الأحيان
د/ حسنين ربيع : النظم المالية فى مصر ص ٤٥ .

(٢) دار الضرب : هو مبلغ فرضته الدولة على أصحاب الأموال من الذهب والفضة لقاء قيام الدولة بسك تلك الأموال لهم بسكها الرسمى وخضعت تلك الضريبة لنسبة مئوية معينة .
د/ حسنين ربيع . النظم المالية فى مصر ص ٤٩ .

(٣) المواريث الخشريه : كانت تركة المتوفى تقسم حسب الشرع الشريف ، بعد تأدية نفقات الدفن والديون والأموال الموصى بها إن كانت هناك وصيه ، فإن انعدم الوريث صارت أموال المتوفى من المواريث الخشرية بعد هذه الاستقطاعات ، وكذلك كان الحال إذا ترك المتوفى وارثا لا يستحق الميراث حسب الشرع فيأخذ مستحقه فحسب ويذهب الباقى للدولة .
د/ حسنين ربيع : النظم المالية فى مصر ص ٤٧ .

(٤) ابن ممانى : قوانين الدواوين ص ٣٢٥
المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٠٩
د/ سيده اسماعيل : مصر فى فجر الاسلام ص ٥٧
مصر فى عصر الولاه ص ٤٠

(٥) ناصر خسرو : سفر نامه ص ٤٠

(٦) د/ حسن ابراهيم : الفاطميون فى مصر ص ٢٣٣

أما الأيوبيين فقد فرضوا ضريبة الخمس والمتجر على المشتغلين بالتجارة في موانىء تنيس ودمياط والاسكندرية على ساحل البحر المتوسط . أما ضريبة الخمس فكان يدفعها التجار البيزنطيون أو الروم وغيرهم من التجار الأجانب غير المسلمين على متاجرهم التي يصلون بها إلى تلك الموانىء . على أن هذه الضريبة تراوحت من الناحية العملية زمن صلاح الدين بين ٢٠٪ و٣٥٪ من قيمة البضائع المجلوبه مع أولئك التجار[1] .

وهكذا يمكن القول أن عوامل كثيرة مختلفة تضافرت حتى جعلت تنيس في ذلك المركز السامي ، فبالاضافة إلى ما سبق أن ذكرناه عن بيئة تنيس وصلاحية تلك البيئة لزراعة الكتان ، وموقعها الفذ الذى مكنها من الأتصال التجارى مع الداخل والخارج ، يمكن أن نضيف إلى كل ذلك مهارة أهلها من الأقباط .

(١) د/ حسنين ربيع : النظم المالية في مصر ص ٥١ .

الأحوال الاجتماعية
والنشاط الفكرى

لا أدل على أهمية تنيس الأقتصادية من أنه منذ العصر الفاطمى صار لها - ولعيذاب أيضا - وال يحكمها ويشرف على شئونها[1] . وكان يخلع على هؤلاء الولاه من خزانة الكسوة[2] « بالبدنه » وهو نوع الثياب الذى يلبسه الخليفه الفاطمى فى يوم فتح الخليج[3] .

ويصف ناصر خسرو مدينة تنيس بعد رحلته إليها فيقول « أنها جزيرة ومدينة جميلة بعيده عن الساحل بحيث لا يرى من أسطحها ، والمدينة مزدحمة وبها أسواق فخمة ، وقد يبلغ عدد الدكاكين بها عشرة آلاف منها مائة دكان عطار ، وطول المدينة من الجنوب إلى الشمال ثلاث آلاف ومائتى ذراع ، وعرضها من الشرق إلى الغرب ثلاثة آلاف وخمسة وثمانين ذراعاً . وكان لها تسعة عشر بوابه مصفحه بالحديد ، كما كان بها ستة وثلاثون حماما ومائة معصرة للزيت والسمرج والقصب ، ومائة وستون طاحونا . ومن الحوانيت ألفان وخمسمائة حانوت برسم البضائع . وبها نحو مائة وستين مسجداً ، ولكل مسجد منارة[4] . وبها جامع طوله مائة ذراع وعرضه إحدى وسبعون ذراعاً يوقد فيه كل ليلة ألف وثمانمائة قنديل ، وبها إثنتان وسبعون كنيسه ومخبزاً ، وقد هدم الحاكم كنائسها وبنى محلها مساجد[5] .

وعن سور المدينة يذكر ياقوت الحموى أن سور تنيس أبتدىء فى بنيانه فى شهر ربيع الأول سنة ٢٣٠هـ/٨٤٤م وكان وال مصر يومئذ عيسى بن

(١) د/ عصمت جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية ص ١٤٤

(٢) خزانة الكسوه : كانت دار الكسوه عبارة عن خزانتين الأولى الخزانة الظاهرة ويتولاها أستاذ أو غيره من خواص الخليفه وهى ملأى بأنواع الأقمشة وملابس النساء والرجال من الديباج الملون على اختلاف أنواعه ، وكان يحمل اليها ما يعمل بدار الطراز بتنيس وغيرها .
د/ عطيه مصطفى مشرفه : نظم الحكم بمصر ص ١٠٠

(٣) د/ عطيه مصطفى مشرفه : نظم الحكم بمصر ص ١٤٦

(٤) ناصر خسرو : سفر نامه ص ٣٨ هامش ٢

(٥) على مبارك : الخطط التوفيقيه جـ ١٠ ص ٥٠

منصور بن عيسى الخراساني من قبل إيتاخ التركي في أيام الواثق بن المعتصم وأنتهى منه سنة ٢٣٩هـ/٨٥٣م في ولاية عنبسه بن إسحق في عهد المتوكل[١] .

أما عن صفات وأخلاق أهلها فسهله منقاده ، وطبائعهم مائلة إلى اللين والأنوثة ، قال أبو السرى الطبيب أنه كان يولد بها في كل سنة مائتا مخنث ، وهم يحبون النظافة والغناء والمتعة وأكثرهم يبتون سكارى حيث يشربون الكشكاب[٢] . وهم قليلو الرياضة لضيق البلد وأبدانهم ممتلئة الأخلاط ، وتكثر الأمراض والأوبئة بالمدينة لحرارة الجو ، ومن هذه الأمراض إصابة النساء بالصرع فيصحن مرتين أو ثلاثا ثم يعدن بعد ذلك إلى صوابهن ، كما أنتشر بها مرض يقال له الفواق التنيسي أقام بأهلها ثلاثين سنة حتى لم يبق بها غير مائة من سكانها[٣] .

وإن كانت هذه الأرقام تحوى قدراً واضحاً من المبالغة ، فانما تدل على أن تنيس قامت في بيئة غير صحية مما ترك أثره في حياة سكانها .

واعتمدت المدينة في كل أقواتها على التجارة حيث لم يكن بها شيء من الزراعة[٤] . وقيل أن المسيح عليه السلام مرّ بها في سياحته فرأى أرضا سبخة ماؤه قفره والماء الملح يحيط بها ، فدعا لأهلها بأدرار الرزق[٥] .

وقد مرت مدينة تنيس بأدوار من القحط والفقر ، قبل أن تنتعش في فترات لاحقه . من ذلك أن البطريق ديونيسوس الذى زار مصر سنة

(١) ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٢ ص ٥٦ .

(٢) الكشكاب : صنفان ، صنف منعش غير مسكر يشبه ما يسمى في تركيا ايران وهو يشرب في إيران أيضا . يتكون من اللبن الزبادى المخروب به الماء ، وصنف آخر مسكر يتكون من السويق المخمر مضافا إليه بعض العناصر الأخرى ، ويسمى هذا الصنف القفاع .
ناصر خسرو : سفر نامه ص ٣٨ هامش ١ .

(٣) ناصر خسرو : سفر نامه ص ٤٠
المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٧٧
على مبارك : الخطط التوفيقيه جـ ١٠ ص ٤٥ وص ٥٠

(٤) بلو : فتح العرب لمصر ص ٣٠٦

(٥) ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٢ ص ٥٢

٢٠٠هـ/٨١٥م يصف تنيس فيقول « ومع أن مدينة تنيس عامره بالسكان كثيرة الكنائس فأنى لم أر من البؤس فى بلد أكثر من بؤس أهلها ، وقد سألتهم عن مصدر هذا البؤس فأجابونى « إن مدينتنا محاطه بالماء فلا نستطيع زرعا ولا تربية ماشية والماء الذى نشر به يجلب لنا من بعيد ونشترى الجره منه بأربعة دراهم ولا شغل لنا سوى نسج الكتان ، فنساؤنا تغزله ونحن ننسجه ونعطى عن ذلك نصف درهم فى اليوم من تجار الأقمشة . ومع أن أجرتنا لا تكفى لا طعام كلابنا ، فإن على كل منا أن يدفع ضريبة مقدارها خمسة دنانير ، ومن أجل ذلك نضرب ونسجن ونلزم باعطاء أبناءنا وبناتنا رهائن فيلزمون بالعمل كالعبيد سنتين لأجل كل دينار ، ولو ولدت عندهم إمرأة طفلا فأنهم يأخذون قسمنا بأن لا نطالب به ، وقد يحدث أن تحل ضرائب جديدة قبل إطلاق هؤلاء النساء »[1] .

وعاش المسلمون والأقباط جنبا إلى جنب فى تنيس ، وإن كان الأمر لم يخل من قيام فتن طائفية بين الطرفين فى بعض الأحيان . من ذلك أنه حدث سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م ثار المسلمون فهدموا كنيسة بناها النصارى فى تنيس ، فاعان والى مصر النصارى حتى بنوا الكنيسة[2] .

وفى سنة ٣٢٢هـ/٩٣٤م مات أسقف تنيس وكان بينه وبين البطريق وحشه ، وولى الأخير على تنيس أسقفا من أنصاره من أهل تنيس ، فانقسم هؤلاء والأقباط حزبين أحدهما مع البطريق والآخر ضده « وقام لكل حزب من الحزبين غرض فى نصرة هواه ، حتى كان الأب لا يكلم إبنه ولا المرأة تخاطب بعلها » . وانتشرت المحرمات بينهم وصارت القرابين تنتقل من هيكل إلى هيكل وتكسر على المذابح ويستعين كل فريق منهم على الآخر بالسلطان ، حتى خرج جماعة من المناوئين للبطريرك وذهبوا إلى الأمير أبو بكر محمد بن طغج الأخشيد ، فوجه معهم قائداً فى طائفة من الجند ، فاغلق الكنيسة الجامعة ومنع الصلاة فيها وقبض على الأسقف والبطريرك ، وأحضر محتويات الكنيسة إلى الفسطاط .

(١) آدم ميتز : الحضارة الاسلامية جـ ١ ص ٩٧

(٢) آدم ميتز : الحضارة الاسلامية جـ ٢ ص ٩١ .

وفى تاريخ بطارقة الاسكندرية قبل أنه كان بتنيس مجموعه من شباب المسلمين خارجين عن طاعة الأمير يجبون من الأهالى جبايات وينهبون البيوت ويفعلون أفعالا قبيحة ، فأرسل المعز عسكراً لقتال المدينة بناء على شكوى النصارى فقاوم العصاة العسكر ، ثم التجأوا للدخول تحت الطاعة بسبب قلة المياه العذبة ، فدعا أمير الجيوش العصاة واستضافهم لمدة ثلاثة أيام وأهدى لكل واحد منهم خلعة وعشرة دنانير ، وكان عددهم مائة . ثم أمر بشنقهم جميعاً على أسوار المدينة[1] .

ومن تلك الثورات أن السودانيين ثاروا بمدينة تنيس على عهد الخليفة الفاطمى الظاهر لاعزاز دين الله . (٤١١/٤٢٧هـ) - (١٠٢٠/١٠٣٥م) وطالبوا بأرزاقهم وعاثوا وأفسدوا فى المدينة واعتدوا على الناس وقطعوا الطرقات وأخذوا من المودع[2] ألف وخمسمائة دينار . فبعث إليهم الوزير الفاطمى نجيب الدولة على بن أحمد الجرجانى على رأس خمسين فارساً للقبض على الجناه وإخضاع ثورتهم[3] .

وبالرغم من ظروف الحياة الاجتماعية التى عاشتها تنيس بما فيها من مساوىء واضطراب ، نجدها من جهة أخرى شاركت فى الحياة العلمية والدينية وأفرزت شخصيات كثيرة من أهل العلم . حكى عن يوسف بن صبيح أنه رأى بها خمسمائة صاحب محبرة يكتبون الحديث[4] .

وينسب إليها محمد بن على بن الحسين بن أحمد أبو بكر التنيسى المعروف

---

(١) يحيى بن سعيد : التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ص ٩٤/٩٥
آدم متز : الحضارة الاسلامية جـ ١ ص ٩٠
على مبارك : الخطط التوفيقيه جـ ١٠ ص ٥٠

(٢) المودع : صندوق لحفظ مال مخصص لغرض معين ، ومودع الحكم صندوق يوضع فى عهدة قاضى القضاة لحفظ أموال الايتامى القصر وأموال الغائبين .
المقريزى : السلوك جـ ١ ق ٢ ص ٨٦٤

(٣) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٨١
Stanley, Lane-poole: A History of Egypt in the middle Ages, p. 132-133.

(٤) ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٢ ص ٥٤ .

بالنقاش ، مولده فى رمضان سنة ٢٨٢هـ/٨٩٥م قال أبو القاسم الدمشقى عنه « سمع بدمشق محمد بن حريم ومحمد بن عقاب وأحمد بن عمير وحمامه بن محمد وسعيد بن عبد العزيز والسلام بن معاذ التميمى وأبا بكر الباغندى وأبا ليلى الموصلى وغيرهم من العلماء ، وروى عنه من العلماء الدارقطنى وغيره . ومات سنة ٣٦٩هـ/٩٧٩م[1] .

ومن هؤلاء أبو محمد الحسن بن على بن أحمد بن محمد بن خلف بن حيان بن صدقه بن زياد الضبى المعروف بابن وكيع التنيسى الشاعر المشهور أصله من بغداد ومولده بتنيس ، ذكره أبو منصور الثعالبى فى « يتيمة الدهر » وقال فيه « شاعر بارع وعالم جليل جامع ، برع على أهل زمانه فلم يتقدمه أحد فى أوانه وله كل بديعه تسحر الأوهام وتستعيد الأفهام . وذكر مزدوجته المربعه وهى من جيد النظم وأورد له غيرها ، وله ديوان شعر جيد ، وله كتاب بين فيه سرقات أبى الطيب المتنبى سماه « المنصف » ومن شعره :

سلا عن حبك القلب المشوق ... فما يصبو إليك ولا يتوق
جفاؤك كان عنك لنا عزاء ... وقد يسلى عن الولد العقوق[1]

وكانت وفاته سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٢م بمدينة تنيس ودفن بالمقبره الكبرى فى القبه التى بنيت له[2] .

ومن الشخصيات العلمية والدينية التى أقامت بتنيس أبو زكريا يحيى بن أبى حسان التنيسى الشامى أصله من دمشق وقدم تنيس مقيما بها ، وروى عن الليث بن سعد وسمع الكثير من أبى بكر الخطيب وعبد العزيز الكتانى وأبى الحسن بن أبى الحديد وغيرهم ، ثم تحدث بها وببيت المقدس ، وأخذ عنه الفقيه المقدسى وأبو محمد بن الأكفانى ، ومات بتنيس سنة ٤٦١هـ/١٠٦٨م[3] .

(١) ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٢ ص ٥٤ .
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره جـ ٤ ص ١٣٧ .
(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ ص ١٠٤
(٣) الكتبى : فوات الوفيات جـ ١ ص ٣٩٣
(٤) ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٢ ص ٥٤

ومن هؤلاء أيضا معين الدين أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عبد الرحمن بن أحمد بن تُولُوا الفهرى ، ولد بتنيس سنة ٦٠٥هـ/١٢٠٨م ، سمع الحديث وتفقه وكان له معرفة بالأدب وله يد طولى فى النظم . وشعره فى غاية الجوده ، ومنه وقد أمر قاضى مصر بقطع أرزاق الشعراء من الصدقات سوى أبى الحسين الجزار ، فقال :

تقدم القاضى لنوابه ... بقطع رزق البر والفاجر
ووفر الجزار من بينهم ... فاعجب للطف التيس بالجازر[1]

وعاش بمدينة تنيس وعمل بها الأسقف ساويرس المعروف بابن المقفع والذى توفى فى أواخر القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) ، وكان كاتبا فى دواوين الفاطميين ، وتميز بتآليفه العديدة التى بلغت عشرين كتابا عن الكنيسة المصرية القبطية وأحوالها منها « تاريخ بطارقة الكنيسة المصرية » . وقد استكمل هذا الكتاب بكتاب آخر باسم « ذيل سير الأباء البطارقة » مؤلفون قبط مثل الآنبا ميخائيل الذى تناول تاريخهم فى عهدى الحاكم والظاهر[2] .

ومما يجدر ذكره فى هذا المقام أن مدينة تنيس كانت مقراً وولاية للقضاء ، وممن تولى القضاء بها عبد الله محمد بن النعمان بن الأمام أبى حنيفه نائبا عن أخيه قاضى القضاة أبا الحسن على بن النعمان ، وفوض الحكم إليه على مذهب الأسماعيلية[3] . ويفهم من هذه الأشارة أن جماعة من الأسماعيلية وجدوا لأنفسهم مأوى ومقراً فى تنيس .

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٣٦٩

(٢) د/ عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ص ٣٩

(٣) الكندى : الولاه والقضاه ص ٥٩٠

ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٥ ص ٤١٧

أهم الآثار

ولأهمية مدينة تنيس التاريخية ، فقد حفظت لنا مصادر التاريخ بأسماء بعض ما كان فيها من آثار تدل على قدمها وعراقتها ، من ذلك ما يذكره ابن حوقل أنه يوجد بها ثلاثة عظيمان من جنس الأموات منضدين[1] بعضها فوق بعض يسمونها بطون ، قيل أنها من أيام موسى عليه السلام لأن أهل مصر أيام موسى كان في شريعتهم الدفن ، وهكذا جرت عادة النصارى من بعده ، ثم صارت للأسلام . وعليهم أكفان من خشن الخيش وعظامهم وجماجمهم على غاية من الحفظ إلى يومنا هذا[2] .

وكان أهل القرى في الجزائر الأخرى في البحيرة ينقلون موتاهم إلى تنيس فيقبرونهم واحداً فوق الآخر ، وهي الأكوام الثلاثة التي تسمى أبو الكوم[3] .

ولعل هذا يدعونا إلى الأعتقاد بأن أهل المدينة عرفوا كيفية تحنيط جثث الموتى والأدوات المستعملة لذلك ومارسوه على موتاهم .

ووجد بتنيس بعض آثار الحمامات وبواقي عقود مطليه بطلاء صلب في غاية الحفظ ، وكذلك تلال من الطوب وشقاف من الصيني والفخار والزجاج الملون بكل لون ، ويشاهد فيها أثر خليج قديم كان يمر في وسطها[4] .

ويحدثنا المقريزي عند الكلام على قرية سمنای من قرى تنيس أن قوما أكتشفوا في شهر ربيع الأول سنة ٨٣٧هـ حجاره وآجر فإذا عضادات زجاج كثيرة مكتوب على بعضها إسم الأمام المعز لدين الله الفاطمي ، وعلى بعضها إسم الأمام العزيز بالله نزار ، ومنها ما عليه إسم الإمام الحاكم بأمر الله ، ومنها ما

---

(١) منضدين : مرتبة ترتيبا منظما .

(٢) ابن حوقل : المسالك والممالك ص ١٦٠

(٣) المسعودي : مروج الذهب جـ ١ ص ٣٠٣

(٤) علي مبارك : الخطط التوفيقيه جـ ١٠ ص ٥٠

عليه إسم الإمام الظاهر لاعزاز دين الله ، ومنها ما عليه إسم المستنصر وهو أكثرها[1] .

على أنه يلاحظ أن هدم مدينة تنيس كما سبق أن ذكرنا كان له أثره فى ضياع واندثار ما كان بها من منشآت دينيه واجتماعيه واقتصاديه ، وربما ساعد على ذلك الأندثار بيئة المدينة فى جزيرة صغيرة يحيط بها الماء ، مما أدى بدوره إلى تآكل ما بقى فيها من أثار بحيث لم يبق إلا أوصاف بعضها فى كتب التاريخ وكتابات الرحاله المعاصرين .

---

(١) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٨١

د/ زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ص ١٨٠

الملاحـــق
خريطتين

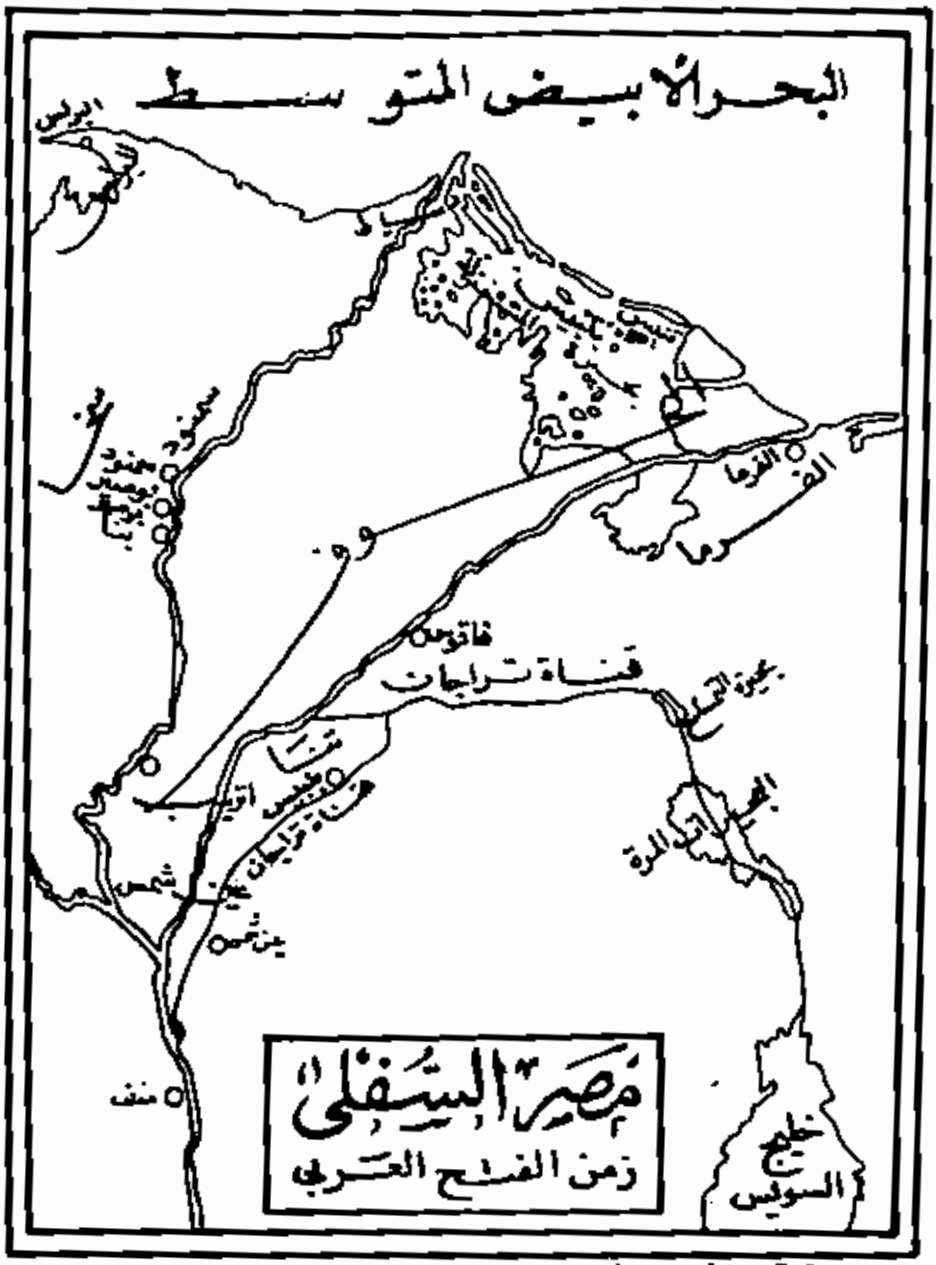

نقلا عن كتاب الأمير عمر طوسون

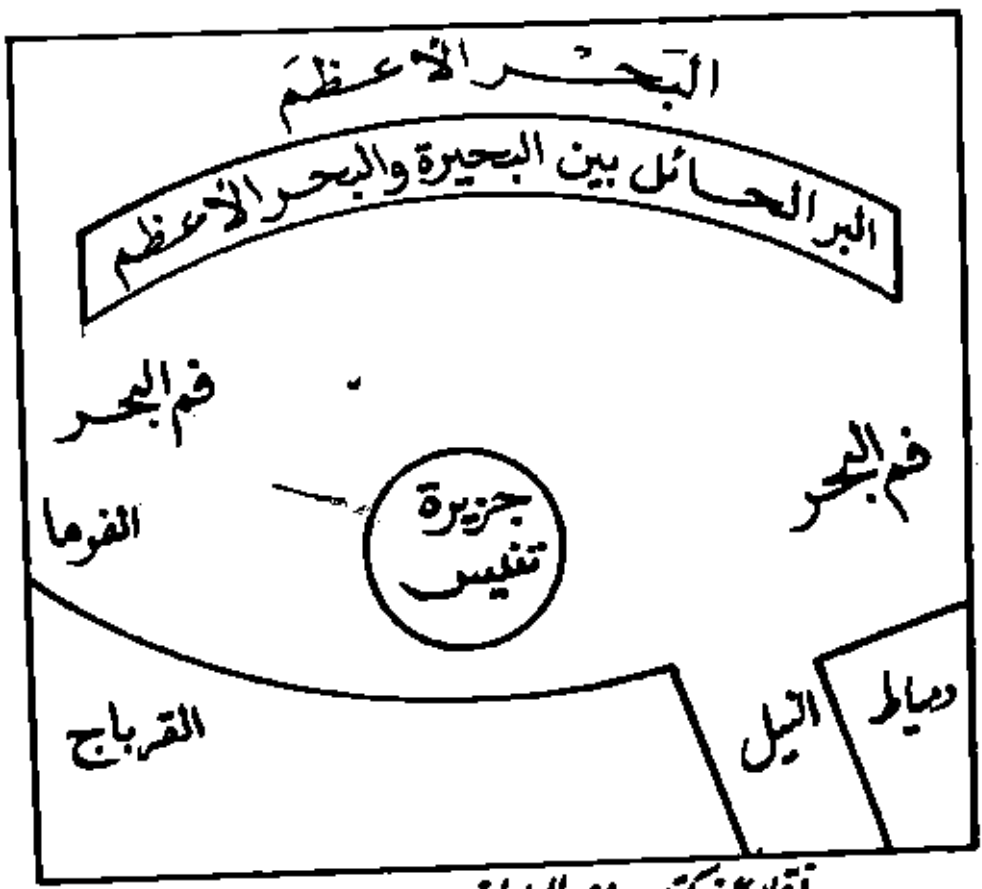

نقلا عن كتاب معجم البلدان حـ ، ص ٥٣

المصادر والمراجع العربية

ابن الأثير : (أبو الحسن على بن أبى الكرم)
الكامل فى التاريخ
طبعة بيروت ١٩٦٦م

الأدريسى : (محمد بن عبد العزيز الشريف)
نزهة المشتاق فى إختراق الآفاق
طبعة ليدن ١٨٦٤/١٨٦٦م

ابن اسحق الأموى : (الشيخ الأمام)
كتاب فتوح مصر وأعمالها

الأصطخرى : (أبو اسحق إبراهيم بن محمد الفارس المعروف بالكرخى)
المسالك والممالك
طبعة ليدن ١٩٣٧م

إلياس الأيوبى
تاريخ مصر الاسلامية من الفتح العربى إلى الفتح الاسلامى
القاهرة ١٩٣٢م

ابن إياس : (أبو البركات محمد بن أحمد)
تاريخ مصر المعروف باسم بدائع الزهور فى وقائع الدهور
٣ أجزاء طبعة بولاق
١٣١١ - ١٣١٢هـ/١٨٩٤م

بتلر : (الفريد)
فتح العرب لمصر
عربة محمد فريد أبو حديد
مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة
١٣٥١هـ /١٩٣٣م

البلاذرى : (أحمد بن يحيى بن جابر)
فتوح البلدان
نشرة ووضع ملاحقه وفهارسه الدكتور صلاح الدين المنجد
٣ أجزاء مكتبة النهضة المصرية

ابن تغرى بردى : (جمال الدين أبى المحاسن يوسف)
النجوم الزاهره فى ملوك مصر والقاهرة
١٢ جزء الطبعة الأولى
١٣٥١هـ /١٩٣٢م

حسن ابراهيم حسن : (دكتور)
تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى
٤ أجزاء
١٩٣٥/١٩٤٦م

حسنين محمد ربيع : (دكتور)
النظم المالية فى مصر زمن الأيوبيين
مطبعة جامعة القاهرة
١٩٦٤م

ابن حوقل : (أبو القاسم محمد البغدادى الموصلى)
كتاب صورة الأرض
جزءان / القسم الأول طبعة ليدن ١٩٣٨م
المسالك والممالك
طبعة ليدن ١٨٧٣م

ابن خلكان : (شمس الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم)
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان
دار الثقافة ببيروت

راشد البراوى : (دكتور)
حالة مصر الاقتصادية فى عهد ...
الطبعة الأولى
مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة
١٣٦٨هـ/١٩٤٨م

زكى محمد حسن : (دكتور)
الفن الاسلامى فى مصر
الجزء الأول
القاهرة ١٩٣٥م
كنوز الفاطميين
طبعة دار الكتب الملكية

سعيد عبد الفتاح عاشور : (دكتو
الحركة الصليبيه
جزءان - مكتبة الأنجلو المص

سيد محمود خليفه
تاريخ المنسوجات
مطبعة نهضة مصر بالقاهرة
١٩٦١م

سيده اسماعيل كاشف : (دكتور)
مصر فى فجر الاسلام من الفتح ...
دار الفكر العربى
القاهرة ١٩٤٧م
مصر فى عصر الولاه من الفتح ...
مكتبة النهضة المصرية ... الفجاله
مصر فى عصر الأخشيديين
الطبعة الثانية

دار النهضة المصرية ١٩٧٠م

عبد الله خورشيد البرى (دكتور)
القبائل العربية فى مصر فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة
دار الكاتب العربى للطباعة والنشر
١٩٦٧م

عبد المنعم ماجد : (دكتور)
ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها فى مصر
دار المعارف بمصر

عطيه مصطفى مشرفه : (دكتور)
نظم الحكم بمصر فى عصر الفاطميين
٣٥٨/٥٦٧هـ
الطبعة الأولى ، دار الفكر العربى بالقاهرة
١٣٦٧هـ/١٩٤٨م

على باشا مبارك
الخطط التوفيقيه
الطبعة الأولى ٢٠ جزء
طبعة بولاق ١٣٠٥هـ

القلقشندى : (أبو العباس أحمد بن على)
نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب
طبعة الرياض – بغداد

صبح الأعشى فى صناعة الأنشا
الجزء الثالث -- المطبعة الأميريه بالقاهرة
١٩١٣/١٩١٩م

الكتبى : (محمد بن شاكر بن أحمد)
فوات الوفيات

تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد

الكندى : (أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب)
كتاب الولاه وكتاب القضاه
بيروت ١٩٠٨م

محمد جمال الدين سرور : (دكتور)
الدولة الفاطمية فى مصر
دار الفكر العربى بالقاهرة
١٩٦٥/١٩٦٦م

المسعودى : (أبو الحسن على بن الحسين بن على)
مروج الذهب ومعادن الجوهر
٤ مجلدات
دار الكتاب اللبنانى

المقدسى : (شمس الدين أبو عبد الله بن محمد المعروف بالبشارى)
أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم
الطبعة الثانية
طبعة ليدن ١٩٠٦م

المقريزى : (تقى الدين أحمد بن على)
المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط الجزء الأول
طبعة الأوفست - بغداد
والطبعة الأهلية فى ٤ أجزاء مطبعة النيل بالقاهرة
١٣٢٤ - ١٣٢٤هـ

السلوك لمعرفة دول الملوك
الجزء الأول فى ٣ مجلدات تحقيق دكتور محمد مصطفى زيادة .
القاهرة ١٩٣٤م

الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك

تحقيق دكتور جمال الدين الشيال
القاهرة ١٩٥٥م

ابن مماتى (أبو المكارم أسعد)
كتاب قوانين الدواوين
تحقيق دكتور عزيز سوريال عطيه
مطبعة مصر ١٩٤٣م

ابن منظور : (جمال الدين أبو الفضل محمد)
لسان العرب ٢٠ جزء فى ١٠ مجلدات
الطبعة الأولى القاهرة ١٢٩٩ - ١٣٠٨هـ

ميتز : (أدم)
الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى
ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريده
جزءان طبعة بيروت

ابن ميسر : (محمد بن على بن يوسف بن جلب راغب)
المنتقى من أخبار مصر
تحقيق أيمن فؤاد سعد
المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة

ناصر خسرو على
سفر نامه
نقله من الفارسيه إلى اللغة العربية وقدم له وعلق عليه دكتور يحيى الخشاب
الطبعة الأولى – مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٣٦٤هـ/١٩٤٥م

النويرى : (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب)
نهاية الأرب فى فنون الأدب

الجزء الأول
دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٢٣م

ياقوت : (شهاب الدين أبى عبد الله الحموى)
معجم البلدان
المجلد الثانى بيروت ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م

يحيى بن سعيد الأنطاكى
التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق
جزءان بيروت ١٩٠٩م

اليعقوبى : (أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح)
كتاب البلدان
طبعة ليدن ١٨٩٢م

المراجع الأوربية

Grousset (R) Hist. des Croisades et du

Royaume Francede jerusalem (Vol) I.

Heyed (W) Histoire de commerce du levant au moyen Age (2 Vols)

(Leipzig 1885)

Lane - Poole. (Stanley): A History of Egypt in the middle Ages.

London 1914

Quatremère (et): Memoires

Geogra phiques et historiques

(Tome 1)

Paris 1811